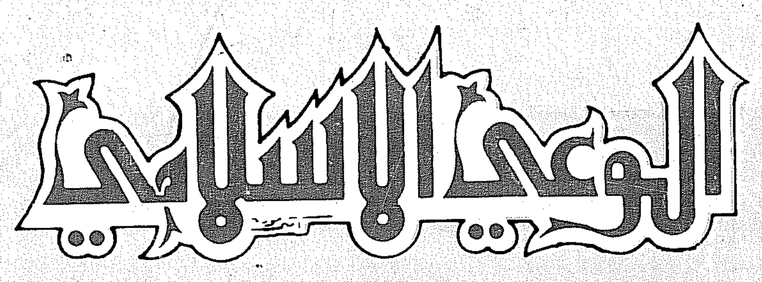


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٩ ذو القعدة ١٤٠٤ هـ / أغسطس ١٩٨٤ م

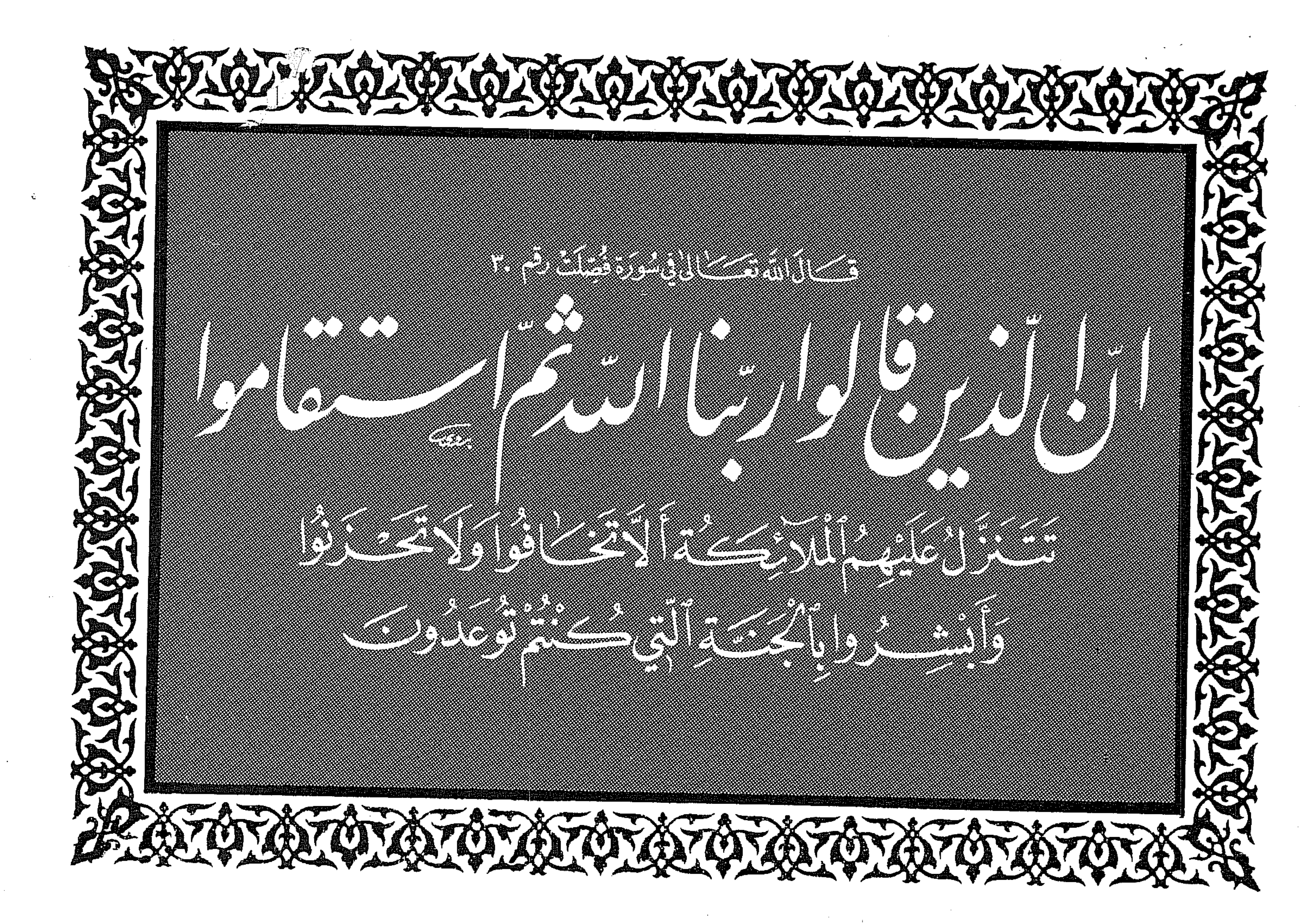
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

المزمل - آية ٢٠

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


قال الله تعالى في سورة فصلت رقم ٣٠
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٣٩ ذو القعدة / ١٤٠٤ هـ - أغسطس ١٩٨٤ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش. م. ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة سمو الأمير

لمناسبة العشر الأواخر من رمضان

وجه سمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كلمة الى الشعب لمناسبة العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ، اذيعت في اذاعة وتلفزيون الكويت يوم ٢٥ منه ، وقد اكد سموه على الاخاء والمودة والتعاون بين الإخوة في العروبة والإسلام ، وأوضح أن حرب الخليج قد استغلها تجار السلاح والموت ، فاستنزفت جهوداً كان من الخير أن تظل مصوبة نحو تحرير فلسطين والقدس الشريف ، وذكّر سموه الشعب بحق الله تعالى عليهم وحق الوطن وحق الغد ، وأشار إلى الامتحان الاقتصادي العسير الذي تعرضت له الكويت ، ودعا إلى اليقظة والإخلاص والصبر على الوفاء بالمسؤولية ، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور الذين يحملون مسؤولية القرار في إيران إلى وساطات الصلح المخلصة .

وفيما يلي نص كلمة سموه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه الى يوم الدين .

إخواني ،،،

أتحدث اليكم في هذه الايام المباركة ذاكرا فضل الله علينا أن أكرمنا بنعمة الاسلام ، ولغة القرآن وجعلنا أمة وسطا ، ورزقنا من الطيبات لنكون من الشاكرين .

ولقد كنا ، ولا زلنا ، نستطيع أن نعيش الاخاء والمودة مع جيراننا .. نبني



○ إن المسؤولية لا تقتصر على من هم في مناصب رسمية ، فكل مواطن مسؤول

الحياة ، ونساهم بنصيب اكبر في ركب العلم والتقدم ، ونتعاون مع إخوتنا في العروبة والاسلام وكل محب للخير .

ولكن جانبا كبيرا من نعمة الله قد تبدل حروبا استغلها تجار السلاح والموت . وأنتم ترون ما وصلت اليه حرب الخليج ، وكيف اتسعت مساحات الدم المتدفق من جراح الاسلام والعروبة ، واستنزفت جهودا كان من الخير ان تظل مصوبة نحو تحرير فلسطين والقدس الشريف .

ان مثل هذه الحروب اوفدتها اهداف امتدت تطلعاتها الى ما حولها ، واصطلت بنيرانها شعوب لم يكن امامها الا ان تدافع عن أرضها .

اخواني

إن هذا الاطار الدولي الذي نعيش فيه ، بكل مخاطره ، وان الامال التي تمتلىء بها نفوسنا سعيا الى الخير لنا ولغيرنا ، تدعونا في هذا المنعطف من حياتنا ، الى تأكيد أصول قام بها مجتمعنا ، وتسير عليها سياستنا ، فاذكروا دائما :

ان لربكم عليكم حقا .

○ الوحدة الوطنية ، والتعاون الخليجي ، والانتماء العربي ، وهدى الاسلام ، والسلام العالمي : دعائم خمس تقوم عليها حياة الكويت

وأن لوطنكم عليكم حقا
وأن لغدكم عليكم حقا

أما حق الله سبحانه : فقد عشتم الاسلام ، كما عاشته أجيال الآباء والاجداد ، إخاء وسماحة ومودة ، وحفظا لروابط الاسرة ، وحقوق الجيرة والعشيرة والوطن ، فاحفظوا للاسلام سماحته ،وا هتدوا بقول الله تعالى « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** » .

واذكروا حديث رسوله صلى الله عليه وسلم :

« ان الرفق لا يكون في أمر الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » وما نصحنا به في قوله « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .

اخواني

وأما حق الوطن فهو مسؤوليتنا جميعا .

ان حب الكويت يسبق حب النفس والمال والولد في قلب كل كويتي ، نبتت بذرته وامتدت جذوره وفروعه في أرضها الطيبة .

ان الوحدة الوطنية ، والتعاون الخليجي والانتماء العربي ، وهدي الاسلام والسلام العالمي ، دعائم خمس تقوم عليها حياة الكويت الداعية الى الخير والدافعة للشر والعدوان .

لقد مرت الكويت في امتحان عسير استهدف اقتصادها وأمنها ، واستطاع أبناؤها بتوفيق من الله ، أن يكونوا على مستوى الأحداث في تماسكهم وحكمتهم وصلابتهم وحماية كويتهم .

أدعو نفسي وأدعوكم الى اليقظة والاخلاص والصبر على الوفاء بالمسؤولية .

إن المسؤولية لا تقتصر على من هم في مناصب رسمية ، فكل مواطن مسؤول .

إن حمل المسؤولية شرف ، وصيانتها أمانة ، واداءها واجب ، والتفريط فيها خطيئة .

هذا هو الطريق الذي ينبغي أن نسلكه افرادا وجماعات ، كويتيين ومقيمين .

وإن دور الابوين والاسرة اساسي في غرس هذه القيم ، ورعايتها بالقدوة

الحسنة والتربية المستمرة ، فالنساء شقائق الرجال ، في الحق والواجب والعطاء ، الذي يعود خيره على الاسرة والمجتمع .

واذا كان التعاون والتنسيق بين افراد الشعب وبين الاجهزة المدنية والامنية والدفاعية مطلبا وطنيا في كل الاوقات ، فانه فريضة في الظروف الطارئة ، ذلك لأن سلامة الوطن لا تعلو الى مستواها اي قضية .

إن نعم الله وعطاءه اختبار للانسان : أيشكر أم يكفر . وحياة كثير منكم بين اقامة وسفر . وأنتم في سفركم ، تحملون الكويت في قلوبكم حبا ، وعلى لسانكم ذكرا ، فاختاروا لانفسهم واهليكم مواقع الخير ، واجتنبوا مواقع الذين ظلموا انفسهم ، واجعلوا اقوالكم وافعالكم صورة كريمة لوطن كريم .

اخواني

أما حق الغد ، فانه يجمع الماضي والحاضر ، فازرعوا أرض الحاضر ليحصد أبناء المستقبل ، وادخروا بعض ما أكرمكم الله به ، زادا لايام يداولها الله بين الناس .

إن ابناء اليوم وبناته هم آباء الغد وأمهاته ، فضعوا في أيديهم وسائل الحياة ، ايمانا وعلما وقوة .

إن أقلامهم اسلحة العلم ، وأن أسلحتهم أقلام النصر .

ان مسؤولية كبيرة في بناء الغد يحملها الجيل الجديد من علمائنا الذين أتابع بالتقدير جهودهم الدائبة في تكوين القاعدة العلمية ، والمساهمة في حل مشكلات المجتمع ، وفتح الطريق أمام الابداع ، في توازن بين الانتماء الوطني والاتصال بالفكر العالمي .

إن ثمار البحث العلمي غالية ، ولا تنالها الا العقول التي عاشت لها ، وبذلت لها العزيز من الوقت والجهد ، في صبر وتفرغ ونكران ذات ، مؤمنة أن ما ينفع الناس يمكث في الأرض .

اخواني

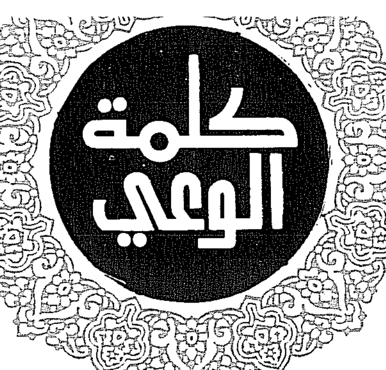
في هذه الايام ونحن بين صائم وقائم وراكع وساجد ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور الذين يحملون مسؤولية القرار في ايران الى وساطات الصلح المخلصة التي طرحتها مختلف الدول والمنظمات الاقليمية والعالمية .

وندعو الله أن يعيد الاخاء والسلام الى لبنان ، وأن يهب العرب والمسلمين مزيدا من التكاتف والقدرة على تنفيذ ما يتخذون من قرارات فيها صلاحهم ، فالتنفيذ حياة الارادة .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » .

وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .



لبيك اللهم لبيك

العبادات منذ شرعها الله تلتقي عند غاية واحدة . عند عبادة الله وحده والاخلاص في طاعته والتوجه إليه والاستعانة به فهو رب النعمة التي لا تحصى ورب العزة التي لا تذل ورب كل شيء بيده ملكوت السموات والأرض ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . لهذا استقر في وجدان المسلم وضميره أن يحقق معنى العبودية لله فيما يؤديه من صلاة وصوم وزكاة وحج وأخلاق وسلوك كلها وإن اختلفت صورها وأزمنتها فهي استجابة لنداء الله وتلبية لدعوته وإقرار بربوبيته: « **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » ١٦٢ ، ١٦٣ / الأنعام

ولما كان الحج من أقوى العبادات في إظهار معنى العبودية والاخلاص لله ناسب أن تكون التلبية عنوان الشروع فيه فهي إقرار من الانسان المخلوق بوحدانية الخالق المعبود تنطلق بهذه التلبية أصوات القوافل المؤمنة كلما رقوا عاليا أو هبطوا واديا أو نزلوا منزلا أو شرعوا في نسك . يجددون بها عهد الايمان مع الله معلنين أنه لا حمد إلا لله ولا نعمة إلا منه ولا ملك إلا له سبحانه لا شريك له . إن السماء تحيي من تركوا الأهل والديار والأولاد والتجارة والأعمال . بدافع من وجدانهم وحركة إيمانهم بعد أن كمل فيهم الشوق إلى الحج الأكبر وشدهم الحنين إلى وقفة الضراعة وإلى مشاهدة منابت الذكرى ومهابط الوحي ومولد الرسالة .

بصدق الايمان وفيض الشوق جاءوا من كل صوب بثيابهم البيض يحدوهم الأمل في عفو الله ورضاه انطلقوا إلى أرض النور بقلوب عامرة وشفاه ذاكرة .

زحفهم صلاة وهتافهم تلبية ونداؤهم عبادة وسفرهم هجرة إلى الله . ولعل في هذا المشهد الايماني أكثر من درس ينبه القلوب الغافلة عن ذكر الله ويحرك المشاعر اللاهية بالأموال والتجارة عسى أن يستمع هؤلاء إلى قول الحق سبحانه:« **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** » الآية ٩/المنافقون

عسى أن يتحرروا من سلطان المادة وهم يعلمون أن المال مال الله وأن ما ينفق في سبيله تكفل بمضاعفته:« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» ولعل القادرين المتكاسلين يستجيبون لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**تعجلوا إلى الحج فان أحدكم لا يدري ما يعرض له**) ولعل هؤلاء الذين يشدون الرحال إلى مصيف اتقاء الحر يشدون رحالهم إلى الحج ليتقوا به نار الآخرة .

أما من عزم على حج بيت الله ولبى دعوته فهو في ضيافة الله يحرسه ويرعاه في حله وترحاله إن خرج مهاجرا إلى الله وقد خفف عن نفسه أثقال الذنوب وتخلص من حقوق الله وحقوق الناس وكان حريصا على أن يكون حجه خاليا من الرياء والمفاخرة فقد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ثم دعا ربه فقال:(**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**) .

هذا ومن علامات القبول أن تكون نفقات الحج من مال طيب خالص من كل ريبة وشبهة فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز**) ـ أي الركاب ـ فنادى لبيك ناداه مناد من السماء **لبيك وسعديك** زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور . **وإذا خرج** بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء **لا لبيك ولا سعديك** زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور) ـ رواه الطبراني في الأوسط .

وليعلم من خرج من بيته مهاجرا إلى الله وانتظم في موكب الايمان . أن الحج نوع من الجهاد بالنفس والمال . فلا تضيق يده في مواطن البذل والعطاء ولا ينقبض صدره بمشقات السفر إن صادفته ولا يغضب إن فقد الراحة في حله وترحاله بل يحرص على آداب الحج قدر استطاعته ذاكرا قول الله تعالى (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ..**) الآية ١٩٧ ـ البقرة .

إن رحلة الحج من غير شك فرصة العمر وفرحة الحياة فما ينبغي لضيوف الرحمن أن يقضوا أيامها في نوم أو سمر أو متاع مادي ولا يجوز لهم أن يغفلوا عن المعاني المستوحاة من الحج فكل المناسك توحي مشاهدتها بالعظة والاعتبار توحي باستحضار ذكريات من عهد أبي الأنبياء خلدها التاريخ وباركها الاسلام بل على حجاج بيت الله إن عاينوا مكة أن يذكروا أنها أحب البلاد إلى الله ، فيها ولد محمد عبد الله ومصطفاه وفيها شرفة الله بأعظم رسالة في الوجود وإليها عاد بعد الهجرة بفتح مبين .. وفي طوافهم يذكرون أن هذا البيت أول بيت وضع للناس وأنه بيت الرجاء والأمل في رحابه الطهر والتقى ومن دخله كان آمنا بيت رفع قواعده إبراهيم وعاونه إسماعيل عليهما السلام وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وإذا سعوا بين الصفا والمروة عليهم أن يستحضروا مشهد الايمان وأن يستشعروا معنى الحب والتضحية في موقف هاجر الباحثة عن ماء تروى غلة طفلها الرضيع وقد أخذت تهرول في صعود وانحدار بين الصفا والمروة وقلبها يعصره الألم وهي تسمع أنين ولدها وقد جف ريقه وترى شبح الموت يقترب منه وبعد الحيرة والاضطراب تسلم أمرها لله فأدركتها رحمته وجاءها الفرج بعد الكرب والمعاناة وفجر لها زمزم سلسلا عذبا ونبعا دافقا من عهد إبراهيم عليه السلام إلى أن يقوم الناس لرب العالمين باستحضار هذا المشهد تقوى صلة المؤمن بالله الذي يجيب المضطر إذا دعاه فيعيش دائما في معيته لا يرجو الخير إلا منه ولا يلوذ إلا به فصدق الله العظيم :
(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) ١٠٧ سورة يونس .

أما مشهد الوقوف بعرفة فانه يمثل أعظم صورة من صور الايمان ، فيه يشهد الوجود أن الاسلام دين التضامن والألفة ودين الحياة ، فيه يسمع الزمن الاقرار الجماعي بوحدانية الخالق والحاجة إلى فضله ورحمته ، فيه تتردد أصوات صاعدة إلى السماء بشتى اللغات واللهجات تنطلق من أصحاب الأردية البيضاء بأفصح لسان وأحلى بيان . جاءت هذه الجموع المؤمنة تعلن ذلها وفقرها وتلوذ بحمى ربهافارة من ذنوبها وخطاياها .

في هذا الموكب الالهي تتجلى الوحدة بأكمل صورها وتتجسد المساواة بأجمل معانيها لا ينبغي أن يمر الحجاج على جبل النور دون وقفة متأنية وهم ينظرون إلى سطحه مرة وإلى قمته مرة ليستعيدوا في خواطرهم صعود النبي الاكرم على صحرائه الوعرة فارا من ضلال الشرك وطغيان الجاهلية ليخلو في الغار إلى ربه بفكره وتأملاته طالبا هداية السماء لهذه الانسانية المعذبة

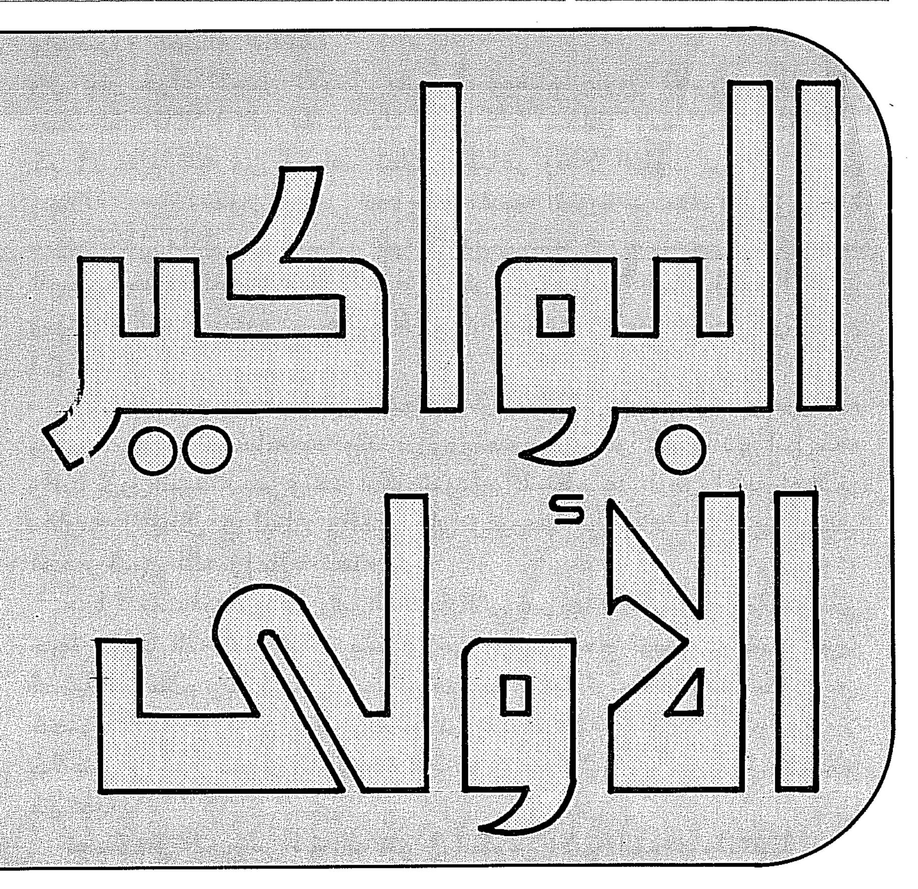
والبشرية الضالة اليائسة .
وفي غار حراء تتصل الأرض بالسماء ويضم جبريل الأمين رسول الله ومصطفاه قائلا:(**إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق** ..)
كم في حرم الله من مشاهد تملك المشاعر وتملأ القلوب بروعة الايمان وجلالة .. وإذا سرت يا أخي الحاج إلى المدينة المنورة قد شدك الشوق لزيارة سيد الخلق فأكثر من الصلاة عليه في أدب وخشوع واستحضر أنك في مهبط الوحي ومنبع الطهر ومنزل القرآن اذكر أنه في تلك الرحاب تفجر الايمان ومنها انطلقت الدعوة إلى جميع آفاق الدنيا تهدي الناس من حيرة وتنقذهم من ضلال .

وإذا لامست قدماك أرض المدينة اذكر أنها تشرفت بخطوات رسول الله وشهدت جهاد أصحابه معه وقد عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأنت تزور شهداء بدر وأحد اذكر شهداء الاسلام على أرض الاسراء اذكر مقاومة الأبطال في لبنان وأفغانستان وغيرهما من بلاد المسلمين واطلب النصر لدين الله وإعلاء كلمته .

مما لا شك فيه أن الظروف القاسية التي تمر بها أمتنا المسلمة تفرض على حجاج بيت الله الحرام أن يتخذوا من موسم الحج فرصة يعرضون فيها قضية الاسلام ويتدارسون فيما بينهم مصير أمة تواجه تخطيطا حاقدا من خصوم الاسلام وتآمرا خفيا وسافرا من الشرق والغرب على السواء . وأنه لا خلاص من هذا الخطر إلا بوحدة الصف وجمع الشمل والعودة إلى الاسلام من جديد .

نعم كم في الحج من مشاهد تثير في النفوس الأبية التحرك والانفعال فإذا رأى الحجاج والعمار المسجد الحرام تذكروا المسجد الأقصى وما صار إليه من ذل وما يعانيه من بشاعة الاحتلال وهذا يوحي بالسعي والجهاد من أجل تحريره وفك إساره . وإذا رأوا الخيام المنصوبة في منى وفي عرفات تذكروا خيام اللاجئين وهي تضم أمًّا ثكلى وأختا مشردة وشيخا يستجمع بقايا نفسه وطفلا مضيعا . وليعلموا أن قيام هذه الخيام في الأرض المحتلة يسجل وصمة العار على كل مسلم ومسلمة مهما بعد موطنه أو ثقلت مطالبه . على حجاج بيت الله أن ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم إذا لم ينفروا خفافا وثقالا لاسترداد ما سلب من كرامات وأرض ومقدسات:(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**).

رئيس التحرير
حسن مناع



يقـول ابن خلدون : « اعلم أن أصـول الفقـه من أعظم العلـوم الشرعية ، وأجلّها قدرا ، وأكثـرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام » ثم يقول : « واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة ، وكـان السلف في غُنْيَة عنه ، لما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية ، وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصا فمنهم أخذ معظمها .. فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة ، فكتبوها فنا قائما برأسه ، سموه أصول الفقه ».

وقد اختلف الناس في أول من كتب أصول الفقه ودونه ، فيرى بعضهم أن الامام أبا يوسف الحنفي أول من جمع قواعد أصول الفقه .

ويرى آخرون أن أول من دون أصول الفقه الامام محمد الباقر ، ويرى الأكثر أن الامام الشافعي هو



أول من وضع علم الأصول ودونه ، وهو المشهور بين العلماء .

البذور الأولى لأصول الفقه :

والحقيقة أن البذور الأولى لعلم أصول الفقه جاءت في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى باللغة العربية ، فقال تعالى : « **إنا أنزلناه قرآنا عربيا** » يوسف/٢ ، وقال تعالى : « **بلسان عربي مبين** » الشعراء/ ١٩٥ ، وقال عز وجل : « **كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** » فصلت/ ٣ ، وقد نزل القرآن الكريم على الرسول العربي الهاشمي ، وعلى أمة عربية فصيحة اللغة واللسان ، فعرفوا مقاصده ، وفهموا مراميه ، وأدركوا روحه ومغزاه ، وأخذوا أحكام الله تعالى منه بمقتضى الصيغة العربية ، والأسلوب العربي ، واستعمال الألفاظ في معناها العربي من حيث الحقيقة والمجاز ، والعام والخاص ، والمنطوق والمفهوم ، والمشترك والمطلق والمقيد ، ومعاني الحروف وتعدد استعمالاتها بحسب السياق والقرائن ، وهذا يغطي جانبا مهما في علم أصول الفقه .

كما وجدت بذور أصول الفقه في السنة النبوية الشريفة ، سواء في بيان القرآن الكريم وتفسيره وتطبيقه نظريا وعمليا أم فيما وضحه الرسول الكريم من مناهج الاستدلال والاستنباط .

والاجتهاد لمعرفة الاحكام الشرعية مما تلقاه عن ربه وعلمه لأصحابه ثم أمرهم بالاجتهاد وعيّنهم على القضاء ، وسلمهم الولايات والامارات ، وأرشدهم إلى أقوم السبل في ذلك ، فكان القرآن الكريم مصدرهم الأول ، وجاءت السنة مبينة للقرآن الكريم ، وفي الدرجة الثانية بعده ، وكانت مجموعة الأحكام الشرعية في القرآن والسنة هي المادة الرئيسية للفقه في معرفة أحكام الله تعالى ، وتشتمل في جوهرها على الأسس العامة ، والقواعد الكلية ، والمبادىء الأصولية التي ترسم منهج الله للناس .

ولازم الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال البعثة ، ورشفوا من نوره ، وعاصروا نزول القرآن الكريم ، وعرفوا حكمة التشريع ، واطلعوا على أسرار الشريعة ، وعرفوا قسطا وفيرا من تفسير القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدركوا أسباب نزول الآيات ، وأسباب ورود الأحاديث ، ويضاف إلى ذلك الفطرة السليمة والذهن الصافي ، والفكر المستقيم ، وفصاحة اللسان الذي نزل به القرآن ، وفوق كل ذلك فقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد » رواه الستة والشافعي وأحمد ودربهم على الحكم والقضاء ومواجهة القضايا والمشاكل ، فعن عبد الله بن عمرو أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمرو :

اقض بينهما ، فقال عمرو : أقضي بينهما ، وأنت حاضر يا رسول الله ؟ قال :((نعم ، على أنك إن أصبت فلك عشرة أجور ، وإن إجتهدت فأخطأت فلك أجر » رواه أحمد والحاكم ، وأرسل صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب قضاة إلى اليمن ، وعين عتاب بن أسيد قاضيا وواليا على مكة ، واختبر معاذا فقال له : « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بكتاب الله تعالى ، قال فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أجتهد رأيي ، ولا آلو ، أي أقصر ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » رواه حمدوالدارقطني وأبو داود والترمذي والطبراني .

وهذه القصة تظهر السليقة السليمة في ترتيب المصادر عند الرجوع إليها ، فيقدم القرآن الكريم ، ثم السنة ، ثم الاجتهاد ، وهذا ما قَعَّدَ علم أصول الفقه فيما بعد ، وقد اكتسب الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تجربة حية ، وملكة ناصعة ، ساروا عليها بعد وفاته

عليه الصلاة والسلام ، وقد وردت آثار كثيرة عنهم تؤكد سلامة الفطرة في الاستنباط ، وصفاء الخاطر في معرفة مقاصد الشريعة ، وحدة الذهن في إدراك الأهداف والغايات ، ووضوح المنهج في الاجتهاد واستنباط الأحكام فيما لم يرد فيه نص ، فمن ذلك رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، وفيها : « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، فاعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق » وهذا يفيد ترتيب المصادر من جهة ، وأنه لا اجتهاد في مورد النص ، والبحث عن العلة لقياس أمر على آخر يشترك معه فيها ، وهو ما أرساه علماء الأصول في كتبهم ، ومن ذلك كتاب عمر إلى قاضية شريح ، ومنها اجتهاد علي كرم الله وجهه في عقوبة شارب الخمر ، وأنها ثمانون جلدة ، قياسا على عقوبة القذف ، وقال : « إنه إذا شرب هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفتري ثمانون جلدة » معتمدا على مبدأ أصولي ، وهو « سد الذرائع » وأن شرب الخمر وسيلة وذريعة إلى القذف ، فأعطا نفس الحكم الثابت في القرآن الكريم للقاذف ، وهو ما أخذ به جماهير الفقهاء خلافا للشافعية ، وهذا ما تقرره القوانين الجنائية في حكم الشروع وعقوبته ، ولما اختلف الصحابة في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها لوجود آيتين في شأنها قال عبد الله بن مسعود بأن عدتها تنتهي بوضع الحمل ، واستند لتأييد رأيه بقوله : « أشهد أن سورة النساء الصغرى : « الطلاق » نزلت بعد سورة النساء الكبرى « البقرة » ، أي أن النص المتأخر ينسخ النص المتقدم ، أو يخصصه ، وهو مبدأ أصولي مسلّم به ، وأخذ بقول ابن مسعود أكثر الصحابة وجماهير الفقهاء .

وسار الأمر على هذا المنوال تقريبا في زمن التابعيين الذين نهجوا طريق الصحابة ، وتتبعوا خطاهم ، وتتلمذوا على أيديهم ، وتبلورت في زمانهم بعض المبادىء الأصولية الجديدة ، فكان سعيد بن المسيب يراعي المصلحة في الاستنباط عند فقد النص ، بينما كان ابراهيم النخعي يعتمد على القياس ، فيستخرج العلة في المسألة التي ورد فيها نص ، ويطبقها على الفروع ، وينقل حكم النص إلى حكم الفروع .

وبدأ الأمر يتغير شيئا فشيئا ، وانتقلت الفتوحات خارج الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانخرط غير العرب في سلك الدعوة الاسلامية ، واختلط العرب بغيرهم ، وضعفت اللغة العربية في ربوع الدولة الاسلامية ، وتسربت العجمة إلى مجالس العلم والعلماء ، ولم ينحصر العلم باللغة العربية ، ولم تبق الفصحى لغة التخاطب والكتابة ، وبرز من غير العرب أئمة وعلماء ، ولم يعد الاجتهاد ميسورا وسهلا كما كان في زمن الصحابة والتابعين ، واستجدت قضايا ومشاكل ونظريات وحركة عمرانية وثقافات مختلفة ،

وتفتح العقل على أمور لم يرد عليها نص في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة ، ولا في آثار الصحابة والتابعين ، فاتسع الاجتهاد ، وفتح الباب على مصراعيه ، وأدلى كل عالم بدلوه ، وقام بواجبه في استنباط الأحكام الشرعية لكل جديد ، وظهرت الفرق المختلفة ، وتأثر كل فريق من العلماء بما وصل إليه من تراث السلف رواية ودراية ، وبرز إلى الوجود أئمة أعلام ، يتميزون بالكفاءات العلمية ، والملكات الفردية ، وأدى كل ذلك إلى الاختلاف الواسع في الاجتهاد ، وتميزت مناهج العلماء والأئمة واصطبغت الأحكام بالصبغة العلمية بذكر الأدلة والحجج والعلل والأصول العامة ، وبرزت للوجود مدرسة الحديث في مكة والمدينة ، ومدرسة الرأي في الكوفة والبصرة ، وبدأ النقاش العلمي بين المدرستين ، وظهر الجدل بينهما ، فشعر العلماء حينئذ بالحاجة الماسة لوجود ضوابط في الاستنباط يعتمدون عليها ، ومنهاج للتفكير يبنون عليه وشروط للاجتهاد والاستدلال ، وقواعد لأساليب البيان العربي الذي وردت النصوص به ، كما سبق في كلام ابن خلدون ، فجادت قرائح الأئمة والعلماء بمجموعة من ضوابط الاستنباط وشروط الاجتهاد ، وقواعد البيان والفهم والاستدلال ، ومنهاج للتفكير ، وهي في مجموعها براعم أصول الفقه .

وصار كل مجتهد يشير إلى دليل الحكم ، ومنهج الاجتهاد ، ويحتج على مخالفه بوجوه من الحجج ، فكان الامام أبو حنيفة رحمه الله يصرح باعتماده على الكتاب فالسنة ففتاوى الصحابة إذا أجمعوا ، فإن اختلفوا تخير من آرائهم ، ولا يخرج عنهم ، ولا يأخذ برأي التابعين ، لأنهم رجال مثله ، ويقرر منهجه في القياس والاستحسان ، فكان أصحابه ينازعونه بالقياس ، فإذا قال : أستحسن ، لم يلحق به أحد .

وكان الامام مالك يتبع منهجا أصوليا واضحا باعتماده على الكتاب والسنة ، واحتجاجه بعمل أهل المدينة ، وتقديمه على خبر الآحاد .

ولكن هذه المبادىء ، وتلك القواعد كانت متناثرة هنا وهناك ، وتختلف من عالم إلى آخر ، ومن مدرسة إلى أخرى ، ولا ينتظمها مسلك ، ولا يحوطها سور ، ولا تشكل علما مستقلا ، إلى أن جاء الامام الشافعي فجمع شتاته ، ودون قواعده وأحكامه ، وصنف أول كتاب في علم أصول الفقه ، وهو « الرسالة » .

الشافعي وتدوين الأصول :

الشافعي هو محمد بن إدريس ، أبو عبد الله المطلبي القرشي ، يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة ، ثم انتقلت به أمه إلى مكة ، وتوفي في فسطاط مصر سنة ٢٠٤ هـ ، وقد تميزت حياة الامام الشافعي بعدة أمور جعلته مؤهلا لكتابة علم أصول الفقه وتدوينه ، وهي :

١ ـ نشأ الامام الشافعي بمكة

المكرمة ، وترعرع بجوار الكعبة المشرفة ، وحفظ القرآن الكريم ، وهو ابن سبع سنين ، وأخذ تفسير القرآن عن علماء مكة الذين ورثوه عن ترجمان القرآن ومفسره : عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وقد اشتهرت مكة بهذا ، وكانت مجمع العلماء من جميع الأقاليم ، فأخذ الامام الشافعي الفقه والعلوم الشرعية من جلّة علمائها ، وأذنوا له بالإفتاء ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، قال له شيخه مسلم بن خالد الزنجي أحد علماء مكة : إفت يا أبا عبد الله ، فقدر ـ والله ـ آن لك أن تفتي ، فجمع في مكة بين حفظ القرآن وتفسيره وعلومه وبين الفقه والأحكام .

٢ ـ رحل الامام الشافعي إلى ا لمدينة المنورة ، وقصد الامام مالكا ، وأخذ عنه « الموطأ » مشافهة ، بعد أن حفظه في مكة ، وهو ابن عشر سنين ، ولازم الامام مالكا تسع سنوات متقطعة ، وكان يتفقه عليه ، ويدارسه في كل مسألة يستفتى فيها ، واتصل بجميع علماء المدينة ، وأخذ عنهم السنة وما أخرجته من علم ، وأتقن علوم الحديث ، ثم دافع عن السنة وبين مكانتها من القرآن الكريم ، وفي التشريع والأحكام ، ورد شبه المنحرفين عنها ، حتى لقب بناصر السنة ، أو ناصر الحديث .

٣ ـ خرج الامام الشافعي من مكة إلى البادية ، ولزم هذيلا ، وهي من أشهر القبائل العربية التي أعرقت في الشعر ، فتعلم كلامها ؛ وأخذ اللغة عنها ، وكانت أفصح العرب ، فاستفاد منها ـ مع كونه عربيا وقرشيا ـ المعرفة الواسعة باللغة والشعر ، حتى أصبح الامام الشافعي حجة في اللغة ، ونقل عنه الأصمعي شعر الهذليين كاملا ، واكتسب الشافعي فصاحة اللسان ، وجودة النطق ، وأخذ العربية من ينابيعها ، وفهم أسرارها ، وأدرك مرامي ألفاظها وعباراتها وأسلوبها ، فساعده ذلك على تفهم القرآن والسنة ، وأفاده قوة في التعبير ، ورصانة في الأسلوب ، يقول الجاحظ : « نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم أر أحسن من المطلبي ، لسانه ينثر الدر » .

٤ ـ سافر الامام الشافعي إلى العراق في سبيل طلب العلم ، وأخذ عن الامام محمد بن الحسن فقه العراقيين ، وقال : « ما أحد في الرأي إلا وهو عيال على أهل العراق » وقال : « الناس عيال على أهل العراق في الفقه » وكان سابقا قد أخذ الحديث والتفسير عن علماء مكة والمدينة ، فجمع بين علم الحجاز وعلم العراق ، وكان فقهه يجمع بين علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث ، ويجمع بين علم العقل وعلم النقل ، واطلع على مناهج الجميع في الاستدلال والاستنباط ، ثم اتخذ مذهبا مغايرا لهم ، بين الجمع والترجيح والاجتهاد الشخصي فأصبح نسيج وحده .

قال ابن حجر : انتهت رياسة الفقه بالمدينة إلى مالك بن أنس ، فرحل إليه ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة ، فأخذ

عن صاحبه محمد بن الحسن حملا ليس فيه شيء إلا وقد سمعه عليه ، فاجتمع علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث ، فتصرف في ذلك حتى أَصَّل الأصول ، وَقَعَّدَ القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره ، وعلا ذكره ، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار » .

٥ ـ درس الامام الشافعي علم الجدل والمناظرة والمنطق ، وأصبح مناظرا من الطراز الأول ، فيجادل أهل العراق لالمامه بالقرآن والسنة وبلاغتهما ، وأساليب البيان والتبيين فيهما ، ويناظر أهل الحجاز لإدراكه الحكم الشرعية والعلل القياسية ، ولم يناظر أحدا إلا وظهر عليه ، وكان يستفيد من موسم الحج أثناء إقامته في مكة وقدومه عليها ، ليجتمع مع كبار العلماء المسلمين في العقيدة والحديث ، والفقه واللغة ، والتفسير وغيره ، فيأخذ منهم ، ويأخذون منه ، ويجادلهم ويناظرهم ، فاجتمع فيه رجاحة العقل ، وسعة الاطلاع ، وفصاحة اللسان ، وقوة البيان ، ورصانة الأسلوب ، وصدق فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قدموا قريشا ولا تقدموها ، وتعلموا منها ، ولا تعالموها » رواه الطبراني والبيهقي والديلمي .

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله : « الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء : في اللغة ، واختلاف الناس والمعاني والفقه » .

٦ ـ وأخيرا يضاف إلى ما تقدم إقبال الشافعي على العبادة ، والزهد في الدنيا ، ومراقبة الله تعالى ، والتقوى والورع ، وصدق النية ، وإخلاص العمل لله تعالى ، فاتقى الله في أعماله ، ففتح الله عليه كنوز المعرفة والعلم ، تطبيقا لقوله تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/٢٨٢ ، وقال له الامام مالك : « يا فتى إني أرى الله قد ملأ قلبك نورا ، فلا تطفئه بظلمة المعصية » ، وأنشد ذلك الامام الشافعي في حوار مع شيخه وكيع بن الجراح ، فقال :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

هذه الصفات والخصائص ، التي امتاز بها الامام الشافعي رحمه الله ، مع ما فطره الله تعالى من رجاحة العقل ، وقوة الحفظ ، وجودة الذاكرة ، وصفاء القريحة ، وشدة الذكاء ، جعلته مؤهلا لكتابة علم أصول الفقه ، وتدوين قواعده ، ووضع ضوابط الاجتهاد ، فأصّل الأصول ، وَقَعَّدَ القواعد ، ليعصم أهل الاجتهاد والخلاف والمناظرة من الخطأ والانحراف في الاستنباط ، ويضع بين أيديهم الموازين لبيان الخطأ من الصواب ، ويحدد مناهج الاجتهاد ، ويحصر مصادر التشريع ، فكان بحق أول من وضع علم أصول الفقه .

قال ابن خلدون : « وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله عنه ، فأملى فيه رسالته المشهورة ، تكلم فيها في الأوامر والنواهي ، والبيان

والخبر ، والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس » .

وقال الرازي : « اعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض » .

وقال أبو ثور : « لولا أن الله تعالى مَنَّ عليَّ بالشافعي للقيت الله تعالى وأنا ضال ، ولما قدم علينا ودخلنا عليه كان يقول : إن الله تعالى قد يذكر العام ، ويريد به الخاص ، وقد يذكر الخاص ، ويريد به العام ، وكنا لا نعرف هذه الأشياء فسألناه عنها .. فعلمنا أن كلامه ليس على نهج كلام غيره »

وقال الامام أحمد بن حنبل : « ما كنت أعرف قبل الشافعي ناسخا ولا منسوخا » .

وأما ما يذكره ابن النديم في « الفهرست » أن أول من دون علم أصول الفقه في سفر مستقل هو الامام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، فليس له دليل علمي ، وإنما أثبتت الأدلة التاريخية والواقعية عكسه ، وإن أراد وجود ضوابط ومبادىء ومناهج أصولية في مذهب الامام أبي حنيفة وفي كلام أبي يوسف ، فهذا لا يخالفه فيه أحد ، فإن الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم ينطلقوا في اجتهادهم عن هوى ، فحيث يكون الفقه يكون حتما منهاج للاستنباط ، (ونفس هذا الجواب يقال عن إدعاء الشيعة الإمامية أن أول من وضع أصول الفقه الامام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق ، وأنهما أمليا على أصحابهما قواعده) ، والواقع أن عبارة ابن النديم لا تدل على المعنى الذي ينقله عنه بعض علما الأصول ، وأنها لا توحي بأن للصاحبين أبي يوسف ومحمد كتابا في أصول الفقه ، وإنما يعدد عند ترجمة الامام أبي يوسف والامام محمد الكتب فيقول : « ولأبي يوسف من الكتب في الأصول والأمالي : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة .. ، ويقول : ولمحمد من الكتب في الأصول : « كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب المناسك » ، وبذلك يترجح أن الشافعي رحمه الله تعالى هو أول من كتب في أصول الفقه ، وجمعه ودونه ، وهو المشهور بين العلماء والمؤرخين .

كتب الامام الشافعي في الأصول :

صنف الامام الشافعي عدة كتب في الأصول ، وهي :

١ ـ الرسالة : وهي أكبر الكتب وأهمها وأشهرها ، وقد كتب الامام الشافعي رحمه الله فصول الرسالة في مكة المكرمة بعد تجواله في الأقطار ، وعندما قدم بغداد في المرة الثانية طلب منه الفقيه الحافظ عبد الرحمن بن مهدي أن يضع كتابا في معاني القرآن والسنة والناسخ والمنسوخ وحجية الاجماع ، فأجابه الشافعي لذلك ، وكتب له الرسالة ولما استقر في مصر أعادها وأملاها على الربيع بن سليمان ، وجعلها مقدمة لكتابه « الأم » وهي النسخة التي وصلتنا والحمد لله ، وطبعت أكثر من مرة ، وأحسن طبعاتها هي التي حققها وعلق

عليها المرحوم أحمد محمد شاكر بالقاهرة .

وتتضمن « الرسالة » مباحث البيان وأنواعه ، ومباحث الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وأسهب الكلام عن حجية السنة ، ثم تكلم عن الناسخ والمنسوخ ، وتعرض لرد الاستدلال بالاستحسان ..

وكانت الرسالة المحجة للمخالفين ، والموئل للمتنازعين ، فوحدت شملهم ، وخففت من أثر الخلاف بينهم ، وسار كثير منهم على نهج « الرسالة » ، وكان مذهب الشافعي مسايرا لما جاء فيها .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لما نظرت « الرسالة » للشافعي أذهلتني ، لأنني رأيت كلام رجل فصيح ناصح ، فإني لأكثر الدعاء له .

٢ ــ جماع العلم : وقد أفرده الشافعي لاثبات حجية خبر الآحاد ، ووجوب العمل به ، والرد على من أنكره .

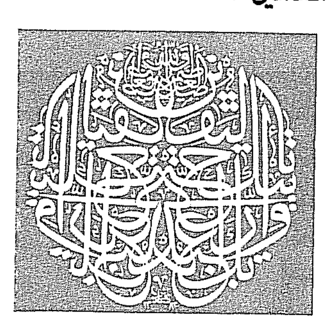
٣ ــ إبطال الاستحسان : الذي بين فيه الامام الشافعي معنى الاستحسان ، ورد حجيته ، لأنه احتكام للعقل والهوى والشهوة ، وقال : « من استحسن فقد شرع » وفند أدلة القائلين به .

٤ ــ اختلاف الحديث : الذي وضعه للجمع بين الأحاديث التي يبدو عليها التعارض ، وهو أول كتاب من نوعه في هذا الموضوع .

٥ ــ أحكام القرآن الذي جمعه البيهقي من أقوال الامام الشافعي عن بيان القرآن وكيفية استنباط الأحكام منه .

الكتب الأولى في الأصول :

وكانت هذه الكتب وخاصة « الرسالة » المنارة الباسقة لدعوة العلماء للتأليف والكتابة ، فشمر العلماء والأئمة عن ساعد الجد ، وحرروا المصنفات ، وأكملوا البناء الذي أرسى أساسه الإمام الشافعي ، وزادوا عليه بما يتفق مع المذاهب والآراء ، وتعددت طرق التأليف ، وظهر عند الشافعية البرهان لإمام الحرمين ، والمستصفى للغزالي ، وعند المعتزلة كتاب العهد لعبد الجبار ، والمعتمد لأبي الحسين البصري ، وعند الحنفية أصول الكرخي ، وتقويم الأدلة وتأسيس النظر للدبوسي ، وأصول الجصاص ، ثم تعددت الكتب والمؤلفات مستفيدة من هذه الكتب الأولى ، ومقتبسة منها ، وبعضها يجمع بينها ، وبعضها يتوسع بالشرح والاستدلال حتى أصبحت المكتبة الأصولية زاخرة بالمجلدات العظيمة التي وصل إلينا معظمها ، وقد يسر الله تعالى طباعة عدد منها للاستفادة من تراث السلف ، والسير على خطاهم لنلحق بهم إن شاء الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .





الدكتور/ نور الدين عتر

هذا العلم هام واساسي في دراسة القرآن الكريم ، واثير لدى الباحثين في علوم القرآن عامة ، وفي التفسير خاصة ، لما في ذلك من الصلة الوثيقة بين السبب والمسبب ، حتى قد صدر الامام الزركشي بهذا البحث كتابه « البرهان في علوم القرآن » .

ويقارب هذه المنزلة لعلم أسباب النزول ما يعنى به الأدباء ، ويصدرون به شرحهم الأدبي لقصيدة أو نص أدبي من بيان « مناسبة القصيدة » و« النص » كما جرى عليه اصطلاحهم .

غير أن علماء التفسير وعلوم القرآن كانوا أعظم دقة وأكثر توفيقا في استعمال كلمة « سبب » موضع كلمة « مناسبة » . وذلك لسببين أساسيين :

● السبب الأول : الدلالة على قوة العلاقة بين النص والأمر الذي نزل القرآن لأجله ، ولا شك أن كلمة « سبب » أقوى في إفادة ذلك من كلمة « مناسبة » ، فضلا عن أن كلمة مناسبة قد تطلق على أي ربط بين الشيء وغيره ، ولذلك استعملها المفسرون بمعنى الارتباط بين أجزاء النص ، وكذا الارتباط بين النص وما قبله ، فكانوا أدق في حسن اختيارها للمعنى الذي قصدوه .

● السبب الثاني : دقة المفسرين وعلماء البحوث القرآنية في تعريف سبب النزول تعريفا علميا ، لا نجد الأدباء عمدوا لمثله بالنسبة لمصطلحهم في « المناسبة » .

ونختار في تعريف سبب النزول هذه العبارة :

سبب النزول هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه .

وهذا الشرط « أيام وقوعه » شرط هام جوهري في معرفة سبب النزول ، وصيانة الدارس أن يخلط بين سبب النزول وبين موضوعات الآيات التي نزلت تتحدث عن أخبار الوقائع الماضية ، مثل أخبار الأنبياء السابقين كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وما وقع لهم مع أقوامهم ، وغير ذلك من أنباء الأمم السابقة ، فكل تلك الوقائع ليست من أسباب النزول ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

وتطبيقا لذلك ناقشنا الروايات في قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاخائفين** » **البقرة/ ١٤٤** .

أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : «هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة .. »

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ومجاهد أنهم النصارى ، قال مجاهد كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه .

فقررنا على الرواية الأولى بأن الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم المشركون أنه يصلح أن يكون صدهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة عن دخول مكة للعمرة سببا لنزول الآية ، لأن ذلك كان في أيام نزول الآية الكريمة .

أما الرواية الثانية أنهم النصارى ، فلا يصلح أن يكون منعهم الناس عن الصلاة في بيت المقدس سببا لنزول الآية الكريمة لأن ذلك اخبار عن واقع في الماضي البعيد لم تنزل الآية أيام وقوعه .

ومراعاة لهذا الشرط في سبب النزول بأن يكون نزول الآية أو الآيات أيام وقوعه

انتقد العلماء الامام الواحدي لما ذكر في تفسيره لسورة الفيل أن سبب نزولها قصة قدوم الحبشة به معهم حين جاءوا لهدم الكعبة المشرفة ، فأهلكهم الله تعالى ، كما قال : « **وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول** » الفيل من ٣ ـ ٥ . فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء ، لأنه ليس في أيام نزول السورة الكريمة ، بل هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية ، كذكر قصة نوح ، وعاد ، وفرعون ، وغيرهم ..

غير أن ثمة أمرا هاما يجب التنبيه عليه في هذا البحث وهو أنه ليس كل القرآن قد نزل على أسباب ، بل أن القرآن قسمان :

قسم نزل ابتداء غير مبني على سبب ، بالمعنى الاصطلاحي ، ومن ذلك أكثر قصص الأنبياء مع أممهم ، وكذا الوقائع الماضية ، أو أنباء الغيب القادمة ، وأهوال القيامة ، والجنة والنار ، فقد نزل أكثر ذلك كله ابتداء من غير سبب .

والقسم الآخر من القرآن : هو الذي نزل على أسباب ، ومنه معظم آيات الأحكام ، والرد على المخالفين ، وما نزل بشأن وقائع مع المسلمين ، أو المغازي ونحو ذلك .

وهذا ظاهر معروف لا يخفي على من له اطلاع على أمور القرآن العظيم .

غير أن بعض الكاتبين انطلاقا من هذا انتقد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود في قوله : « والله ما نزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت .. » وكذا ورد نحوه عن علي رضي الله عنهما ، فادعى أن في هذا مبالغة من قائله لأنه ليس لكل آية سبب نزول ، أو أن بعض الرواة تزيد على الصحابي الذي نقل عنه !!

وهذا عجيب في فهم كلام الصحابة ثم في نقده ، فان هذا القول لا يعني أبدا أن لكل آية سببا ، بل المراد إن كان لها سبب فهو يعلمه ، وذلك بحسب ما رآه باجتهاده في تتبع أسباب النزول ، ثم كيف يظن بالرواة تزيدا وهم هنا في هذه الرواية ليسوا من عامة الناس ، بل من الثقات الأثبات !! لقد كان ذلك يوجب على الأستاذ الناقد إعادة النظر في فهم النص ومقصده الحقيقي .

طريق الوصول إلى أسباب النزول :

ومن البدهي أن يكون طريق الوصول إلى هذا العلم هو النقل والرواية ، لا سبيل غيرها إليه من اجتهاد أو استنباط ، إلا في حدود نقد الروايات وتمييزما يثبت منها وما لا يثبت ، وقد حرم العلماء القول فيها إلا بطريق الرواية والنقل عن الرواة الموثوقين . وقد قال الامام الواحدي في ديباجة كتابه : « أسباب النزول » « ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب »

وهذا حكم مجمع عليه لا خلاف فيه بين العلماء ، وقد تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الامام محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من

القرآن ؟ فقال : إتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن » .

تقسيم الآيات بحسب ورود أسبابها :

وتنقسم الآيات بحسب ما يذكر لها من أسباب إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

١ ـ أن يكون السبب واحدا والنص النازل واحدا ، وهذا هو الأكثر والأغلب ، إلا أنه ربما يوجد في هذا النوع أكثر من رواية في سبب النزول ، ويكون ذلك بسبب ضعف الرواية في بعضها ، أو غلط الراوي ، فتكون الرواية مرفوضة ، وإذا خالفت الثقات والمقبولين كانت أولى بالرفض .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** » البقرة/ ١١٥.

فقد ثبت أنها في صلاة التطوع للراكب المسافر على الدابة :

أخرج مسلم عن ابن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه ، قال : وفيه نزلت : فأينما تولوا فثم وجه الله » .

وأخرج الترمذي وضعفه أنها في صلاة من خفيت عليه القبلة فاجتهد فأخطأ القبلة ، فإن صلاته صحيحة .

فالمعول هنا في سبب النزول على الأول لصحته .

٢ ـ تعدد الأسباب والمنزل واحد :

وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة فتنزل الآية لأجلها كلها ، وذلك واقع في مناسبات متعددة ، والعمدة في ذلك على صحة الروايات ، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلا على أن الكل سبب لنزول الآية أو الآيات .

مثال ذلك : آيات اللعان :

فقد أخرج البخاري أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : « **والذين يرمون أزواجهم** .. » النور/ ٦ .

وفي الصحيحين أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا .. فقال صلى الله عليه وسلم : إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآن .

وظاهر الحديثين الاختلاف ، وكلاهما صحيح .

فأجاب الامام النووي بأن أول من وقع له ذلك هلال ، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا ، وبذلك قال الامام الخطيب ، قال : « لعلهما اتفق لهما

ذلك في وقت واحد » .

٣ ـ أن يتعدد نزول النص لتعدد الأسباب :

قال الامام الزركشي : « وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه ، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه .. »

ولذلك أمثلة ، منها :

ما أثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى « **ويسألونك عن الروح** » الاسراء/ ٨٥ أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أن هذه الآية في سورة « الاسراء » ، وهي مكية بالاتفاق ، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ، فأنزل الله الجواب ، كما سبق بيانه .

ولا يقال : كيف يتعدد النزول بالآية الواحدة ، وهو تحصيل حاصل ؟

فالجواب : أن لذلك فائدة جليلة ، « والحكمة من هذا ـ كما قال الزركشي » ـ أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، تذكيرا لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه » .

أشهر المؤلفات في أسباب النزول :

لما كان المرجع في معرفة أسباب النزول هو النقل والرواية ، لا جرم أن يكون المحدثون فرسان التصنيف في هذا العلم الجليل في مختلف العصور ، وجدير بالتنويه هنا أن اهتمام العلماء بهذا الفن جعله أقدم علوم القرآن تأليفا .

وقد كان التسطير في أسباب النزول من اختصاص الأئمة الكبار المشاركين في عدد من العلوم ، ثم منهم من تعرض لأسباب النزول في كتب التفسير كما نراه في كتب التفسير بالمأثور بصورة خاصة ، ومنهم من أفرد جمع مادة هذا العلم في تأليف مفرد .

وأول من عرفناه ألف في أسباب نزول القرآن الكريم شيخ البخاري الامام علي ابن عبد الله المديني (المتوفى سنة ٢٣٤ هـ) ، ثم تتابعت المصنفات في ذلك ، لكنها لم تعن بالتنقيح ولم تلتزم ببيان السقيم من الروايات من الصحيح ، مما يلزم الدارس بالتثبت والتحقيق .

وأهم الكتب المصنفة في ذلك هذان الكتابان المطبوعان :

● ـ « أسباب النزول » للامام المفسر النحوي المحدث أبي الحسين علي بن أحمد النيسابوري الشهير بالواحدي ، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ .

وقد عول فيه على رواية الأسباب بأسانيده ، فأحال على الأسانيد وهي طويلة ، تكتنف الوعورة دراستها في كثير من الأحيان ، كما أنه أورد أشياء معلقة بدون إسناد .

● ـ « لباب النقول في أسباب النزول » للامام المحدث الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) جرده من الأسانيد وعزا كل حديث لمن أخرجه ، فكفى القارىء بذلك جهدا كبيرا ، وزاد على ما ذكره الواحدي ، غير أنه أخل بأمرين :

الأول : أنه لم ينص على الصحيح من غيره ، معتمدا على المراجع التي أحال القارىء عليها وكثير منها نادر الوجود ، وبعضه في زمننا هذا مفقود .

الثاني : أنه ترك كثيرا من أسباب النزول لم يوردها ، كما يعلم من مطالعة المراجع مثل تفسير ابن كثير ، والدر المنثور للسيوطي نفسه ، فلا تظنن الآية نزلت مبتدأة لا على سبب لعدم ذكر سببها في اللباب فقد يكون لها في المراجع سبب أو أسباب .

أهداف علم أسباب النزول :

لا ريب عند من تأمل وخبر بشرح النصوص والوثائق أن لمعرفة أسباب النزول والوقائع التي بني عليها وقوع أمر من وقائع التاريخ له أثر بالغ الخطر في دراسة تلك النصوص أو الأحداث ، وذلك من أوجه كثيرة ، نذكر منها في هذا المقام ما يلي :

١ ـ الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب ، قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »

وقال ابن دقيق العيد : « بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن »

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب » .

لكن هذا التفسير بسبب النزول مضبوط بقاعدة هامة من أهم قواعد التفسير ، وهي : « العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب »

ومعنى هذه القاعدة أن سبب نزول الآية إذا كان خاصا ، أي حدث من شخص معين أو أشخاص بأعيانهم ونزل نص الآية بصيغة « العموم » فان العبرة في الحكم لعموم اللفظ ، لا لخصوص السبب » ، ولا يجوز جعل الآية قاصرة على عين الشخص أو الأشخاص الذين وقع لهم سبب النزول .

وهذه قاعدة مشهورة معتمدة ، متفق عليها بين جماهير المفسرين والأصوليين والفقهاء وغيرهم ، بل إن هذه من البدهيات لا يمكن للعالم أن يخصص ألفاظ القرآن العامة « بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ، ولا عاقل على الاطلاق » كما قال ابن تيمية رحمه الله .

قال الامام الزركشي : « وقد يكون السبب خاصا والصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشري في تفسير سورة الهمزة : « يجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح ، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه ، فان ذلك أزجر له ، وأنكى فيه » .

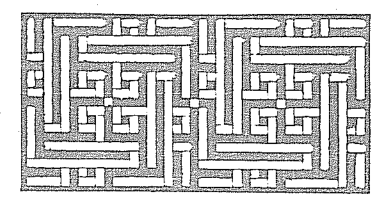
٢ ـ معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع ، مما يكون أدعى لتفهمه وتقبله ، فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وبهته موقف الصحابة وامتثالهم العجيب عندنزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسى بعملهم ، فينزجر عما قد يكون عليه من فعل محرم .

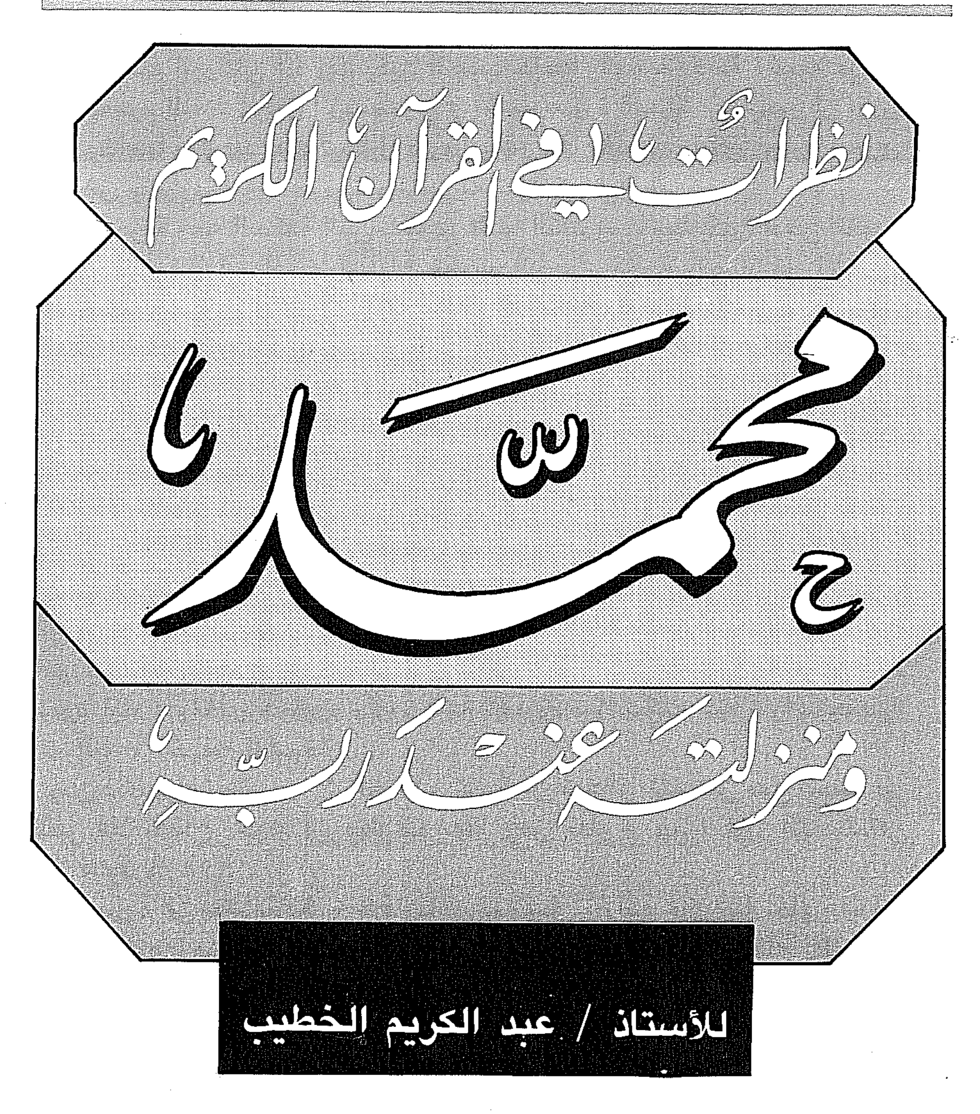
٣ ـ إزالة الأشكال عن ظاهر النص لمن لم يعرف سبب النزول : وذلك كثير يصادفه المفسر ، ومنه هذا المثال المشهور ، وهو :

أنه قد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : « **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** »آل عمران/ ١٨٨ وقال : « لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون » حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه » أخرجه الشيخان .

ومن ذلك قوله تعالى : « **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم** »البقرة/١٥٨ .

عن عروة عن عائشة قال : قلت ـ أي لعائشة ـ أرأيت قول الله تعالى : « **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** » قلت : فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ؟ فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت : فلا جناح أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية . فأنزل الله عز وجل : « إن الصفا »





الله أعلم حيث يجعل رسالته :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون محمد صلوات الله وسلامه عليه ، صفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ، والمبعوث رحمة للعالمين ، من مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

وكان من هذا الاصطفاء لتلك الرسالة العامة ، الخاتمة ، أن تكون معجزتها كلمات الله ، بحيث يقوم منها شاهد التحدي والاعجاز على كل من يتلوها ، أو يستمع إليها ..

ثم كان من اصطفاء الله لحامل هذه الرسالة العامة الخاتمة ، ان يكون على المستوى العالي ، الذي يؤهله لحملها ، والقدرة على السفارة بين الله وعباده بتلك الرسالة .. والشاعر العربي يقول :

إذا كنـت في حـاجـة مـرسـلا
فـأرسـل حكيمـا ولا تـوصـه

وقد أرسل الله محمد برسالة إلى الناس كافة ، ومعها وصاياه لرسوله المصطفى ، حيث كانت تتنزل عليه آيات الله ، مؤيدة له بأمداد من الصبر والعزاء على ما يلقى من كيد الكائدين له ، ومن مفتريات المفترين عليه ، واعدة إياه بتأييد الله ونصره ، كما يقول له ربه : « **إذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** » (سورة النصر) ويقول له سبحانه : « **أم يقولون نحن جميع منتصر• سيهزم الجمع ويولون الدبر• بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر• إن المجرمين في ضلال وسعر• يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** » (سورة القمر : ٤٤ ـ ٤٨) ..

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « لما نزل قوله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » لم ادر أي جمع هذا الذي سيهزم ويولى الدبر ، حتى كان يوم بدر ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتجه إلى جيش المشركين ، وهو يتلو هذه الآية الكريمة ، يستنجز بها وعد الله ، فعلمت حينئذ هذا الجمع الذي لم يلبث حتى هزم وولى الدبر » .

الناس وموقفهم من رسل الله :

داع من السماء ، يحمل بين يديه النور والهدى إلى الناس .. ورسول من الله يقوم بالسفارة بين الله ، وبين عباده ..

ما ظن الناس بهذا الداعية ، وماذا يرتسم في تصوراتهم من صور لهذا الرسول ؟

إن كثيرا من الناس قد أنكروا أن يكون هذا الرسول بشرا مثلهم ، فكذبوا رسل الله إليهم ، وأبوا أن يعتمدوا الوثائق التي بين أيديهم ، إلا أن يشهد عليها شاهد من السماء ، كما يقول تعالى عن مشركي مكة ، وتكذيبهم لرسول الله : « **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون • لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين • ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين • إنا نحن**

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » (سورة الحجر : ٦ ـ ١١) ..

وكما يقول سبحانه عن هؤلاء المشركين ، وموقفهم من رسول الله : « **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما ، وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**» (سورة الفرقان : ٤ ـ ٩) .

وإذا كان هؤلاء المشركون ، قد ذهب بهم الضلال إلى هذه المذاهب المغرقة في الضلال ، فإن كثيرا من الناس ايضا يرتفعون بمقام الحكماء ، ودعاة الحكمة فيهم ، وبمقام الرسل المرسلين إليهم ـ إلى مقام الألوهية ، حتى إنهم ليعبدونهم من دون الله ، كما أله النصارى المسيح ابن مريم ، وعبدوه من دون الله !

يقول الفيلسوف ، جان جاك روسو ، معللا لهذه الظاهرة :

« وهذا هو السبب في أن آباء الشعوب ـ اي حكامهم وقادتهم ـ اضطروا في جميع الأزمنة ، إلى الالتجاء إلى السماء ، وان ينسبوا إلى الآلهة حكمة ، هي في الحقيقة ، حكمتهم هم ، حتى يقبل الناس الخضوع لقوانين الدولة ، كما يخضعون لقوانين الطبيعة ..

وأين محمد من هذه المقولات ؟

إن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ، هو بشر من عالم البشر ، قد اصطفاه ربه لحمل رسالته ، فكان كما قال عنه ربه : « **وإنك لعلى خلق عظيم** » (سورة ن : ٤) وكما قال هو عن نفسه : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .. فهو صلى الله عليه وسلم ، ليس شاعرا ولا مجنونا ، كما افترى المشركون ، وقد نفى الله ذلك عنه ، وبرأه مما افتروا ، فقال سبحانه : « **ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون** » (سورة ن : ١ ـ ٢) ، ويقول عنه سبحانه : « **فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين** » (سورة الحاقة : ٣٨ ـ ٤٣) .

وهو صلى الله عليه وسلم ، ليس إلها ، ولا ابن إله ، ولا شريكا لله ، كما يدعى الجهال الذين يغالون فيه ، ويحاولون ان ينزعوا جلد البشرية عنه ، ويلبسوه حلل الألوهية .. يقول له الله تعالى على لسانه ، صلى الله عليه وسلم : « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » (سورة الكهف : ١١٠) .. ويقول جل شأنه مبطلا تصورات المشركين الضالة : « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ۝ او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ۝ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ۝ أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** » (سورة الاسراء : ٩٠ ـ ٩٣) .

إن محمدا بشر ، وإن كان أكمل البشر ، وإنه ليجرى عليه ما يجرى على البشر ، من يقظة ونوم ، ومن سرور وحزن ، ومن شبع وجوع ، ومن حياة ثم موت ، حتى لقد نعاه ربه في القرآن الكريم ، وهو قائم على الدعوة التي أمره الله تعالى أن يدعو بها الناس جميعا ، فقال تعالى : « **إنك ميت وإنهم ميتون ۝ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** » (سورة الزمر : ٣٠ ـ ٣١) .. وقال سبحانه « **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** » (سورة آل عمران : ١٤٤) .

محمد في القرآن الكريم :

وفي القرآن الكريم صورة مكتملة لسيرة الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، تولى الحق سبحانه بيانها ، تكريما لرسوله الكريم ، وتنويها به ، حتى تكون سيرته قرآنا متلوا يتعبد به المتعبدون ويصلي به المصلون ، في كل مكان وزمان ..

ميلاد النبي :

ويحدثنا القرآن الكريم ، عن ميلاد رسول الله ، وأنه ولد يتيما فقيرا ، تحيط به معبودات قومه ، من الأصنام والأنداد ، فيقف منها موقف الحائر ولا يرى إلا اعتزالها ، خاليا بنفسه في غار حراء ، يبحث عن الإلّه الحق ، الذي يخلص له عبادته ، حتى فجأه الوحي وهو في عزلته تلك ، بأول ما نزل عليه من كلام ربه : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الانسان من علق ۝ اقرأ وربك الأكرم ۝ الذي علم بالقلم ۝ علم الانسان ما لم يعلم** » (سورة العلق : ١ ـ ٥) ..

وعن ميلاده ، صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه من يُتْم وفقر ، ثم ماتفضل به عليه ربه ، يقول الله تعالى : « **والضحى • والليل إذا سجى • ما ودعك ربك وما قلى • وللآخرة خير لك من الأولى • ولسوف يعطيك ربك فترضى • ألم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى** » (سورة الضحى : ١ - ٨) ..

النبي وما كان يلقى من شدة الوحي :

ويحدثنا القرآن الكريم ، عن وقع الوحي على النبي ، حين تلقاه لأول مرة ، فتزمل ، وتدثر ، من شدة وقعه عليه .. فيقول له الحق سبحانه مخاطبا إياه : « **ياأيها المدثر • قم فأنذر • وربك فكبر • وثيابك فطهر • والرجز فاهجر • ولا تمنن تستكثر • ولربك فاصبر** » (سورة المدثر : ١ - ٧) ويقول له الحق جل وعلا : « **ياأيها المزمل • قم الليل إلا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا • إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** » (سورة المزمل : ١ - ٥) ..

النبي وما لقى من عناد المشركين :

ثم يحدثنا القرآن الكريم ، حديثا مفصلا ، عن هذا الصراع العنيد العنيف الذي كان بين زعماء المشركين في مكة ، وبين اولئك الأفراد العزل ، الذين سبقوا الى الاسلام ، وما كان يجده النبي من الآلام ، وهو يرى من استجابوا لدعوته يجلدون بالسياط ، ويكوون بالنار ، ثم هو لا يملك لهذا البلاء دفعا ..

وانه لم يكن هناك من دواء لدفع هذا الضيق ، وإزالة هذا البلاء عن صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما تتنزل به آيات الله ، فتكون بردا وسلاما على قلب رسول الله ، وقلوب الذين استجابوا لدعوته ، وصدقوا برسالته .

وفي هذا يقول الله تعالى ، مخاطبا رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه : « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين • إنا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون • ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون • فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين • واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** » (سورة الحجر : ٩٤ - ٩٩) ..

ويقول الحق سبحانه ، مخاطبا رسوله الكريم : « **واصبر وما صبرك إلا بالله • ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون • إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » (سورة النحل : ١٢٧ - ١٢٨) . ويقول تبارك اسمه مواسيا الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه : « **فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك**

وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ● أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سُوَر مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين● فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » (سورة هود : ١٢ ـ ١٤) .

ويقول جل وعلا ، مخاطبا النبي ، ومثبتا قدمه على طريق الدعوة الى الله : **« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »** (سورة الانفال : ٣٠) ..

ثم يتمادى المشركون في ضلالهم ، حتى ليبلغ بهم هذا الضلال أن يسألوا الله أن ينزل عليهم صواعق من السماء تهلكهم ، إن كان ما يتلوه عليهم محمد منزلا من عند الله ، ولكن الله برحمته التي أرسل بها محمدا ، لا يأخذهم بالمهلكات التي طلبوها ، مادام محمد نبيهم حتى لا يرى مصارعهم وهو فيهم ، وهم أهله وقومه ، وقد علم الله أنهم سيخرجون من هذا الضلال والعناد إلى اتباع محمد ، والاستجابة لدعوته ، والايمان بالله رب العالمين .. وفي هذا يقول سبحانه : **« وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين● وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم● وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ● وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون »** (سورة الأنفال : ٣١ ـ ٣٤) .. ويقول جل شأنه : **« وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون● وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون »** (سورة الأنعام : ١٢٣ ـ ١٢٤) .. ويقول تبارك وتعالى ، مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه : **« وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال● وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال● وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال● فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام »** (سورة ابراهيم : ٤٤ ـ ٤٧) .. ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : **« أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون »** (سورة فاطر : ٨) .. ويقول له تبارك وتعالى : **« إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »** (سورة فاطر : ٥٦) ..

وهكذا تتنزل آيات الله بردا وسلاما على قلب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فيرى على أنوارها جنود الحق ، تقف معه ، مؤيدة له ، آخذة برقاب الذين يكيدون له ، ويتربصون الدوائر به ، وبمن آمن به ، واستجاب لدعوته ..

غزوات الرسول في القرآن الكريم :

ويحدثنا القرآن الكريم كذلك ، عن غزوات الرسول ، وعن النصر الموعود به من ربه ، وعن ملائكة الرحمن الذين أمرهم الله تعالى ان يكونوا جندا مع جنده ، يقاتلون في سبيل الله ..

وأول مشهد لهذا التأييد من الله لرسوله الكريم ، هو ما كان من هجرته الى المدينة ، والمشركون يرصدون حركاته في مكة ، ويتبعون خطواته إلى الغار ، هو وصاحبه أبو بكر الصديق ، ويبعثون بمن يتعقبه في الطريق إلى المدينة ، ويأتيهم به .. وفي هذا يقول تعالى : « **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** » (سورة التوبة : ٤٠) .

فإذا كانت الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركين من جهة ، ثم بينه وبين اليهود من جهة أخرى تنزلت آيات الله بجنود الله ، وبالنصر لمحمد وأصحاب محمد ..

في غزوة بدر :

ففي غزوة بدر ، يقول الله تعالى : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۝ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ۝ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ۝ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ۝ ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين** » (سورة آل عمران : ١٢٣ ـ ١٢٧) ..

وفي غزوة بدر أيضا يقول الحق سبحانه : « **إذْ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ۝ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ۝ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار** » (سورة الأنفال : ١٢ ـ ١٤) ..

وفي غزوة أحد :

وفي غزوة أحد ، وقد كان النصر فيها أول الأمر في جانب المؤمنين ، فلما أخلى الرماة أماكنهم التي أقامهم رسول الله فيها ، وأمرهم ألا يتحولوا عنها إذا انتصر المسلمون أو انهزموا ، إبتلاهم الله بالهزيمة ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين• إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون** » (سورة آل عمران : ١٥٢ ـ ١٥٣) .. ثم تتنزل آيات الله بالعزاء لرسول الله وللمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد ، فيقول تعالى : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين• إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين• وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين• أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » (سورة آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٢) .

في غزوة الخندق :

وفي غزوة الخندق ، وقد جمعت لها قريش جموعها ، لدخول المدينة ، وأقامت حول الخندق أياما ، تنتظر فرصتها في المؤمنين ، فزلزل الله بها ، وأرسل عليها جندا من جنده ، بددوا شملهم ، وألقوا الرعب في قلوب المشركين ، فولوا منهزمين .. وفي هذا يقول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا• إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** » (سورة الأحزاب : ٩ ـ ١١) ..

في غزوة اليهود من بني قريظة :

تم بعد غزوة الخندق ، والمعروفة بغزوة الأحزاب ، والتي أخزى الله فيها المشركين ، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا . سار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين إلى يهود بني قريظة بالمدينة ، وكانوا قد حالفوا المشركين على قتال رسول الله ، والمؤمنين في غزوة الخندق .. فلما أخذ الله المشركين بما أخذهم به من بلاء ونكال ورجع الرسول والمؤمنون إلى أهليهم .. وبينما رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، يغتسل من وعثاء المرابطة في مواجهة المشركين ، جاءه جبريل ، وقال له : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم .. قال جبريل ، ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها .. ثم قال لرسول الله : إن الله تبارك وتعالى ، يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة ، ومعه المسلمون ، وحاصرهم داخل أسوارهم وحصونهم ، حتى رضوا بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، سيد الأوس ، وقد كانوا حلفاءه في الجاهلية ، فاستدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم فيهم بما يراه ، فقضى فيهم سعد بأن تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذريتهم ، وتؤخذ أموالهم وديارهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .. فقتل رسول الله مقاتلتهم ، وسبى ذريتهم واستولى على أموالهم وديارهم ..

وفي هذا يقول الله تعالى : « **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ۝ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا** » (سورة الأحزاب : ٢٥ ـ ٢٧) .

في غزوة الفتح :

وفي غزوة مكة ، وهي المعروفة بغزوة الفتح ، سار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى مكة ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا عيونهم تستطلع جيش المسلمين ، ولما علموا أنهم في مواجهة جيش لا قبل لهم به ، عرضوا على رسول الله أن يدخل بالمسلمين مكة عليهم في غير حرب منهم له ، وقد ألقوا أسلحتهم ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة من غير قتال ، ورسول الله يقول لهم : « من دخل الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن » ثم دعاهم الرسول الكريم إلى الاجتماع إليه ، فلما اجتمعوا بين يديه ، قال : يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « أذهبوا فأنتم الطلقاء » !!

وفي هذا يقول الله تعالى : « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ۝ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » (سورة الفتح ٢٧ ـ ٢٨) .

في شؤون النبي الخاصة :

وفي القرآن الكريم ، حديث متصل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في أحواله في بيته مع زوجاته ، وما قد يكون بينهن من مباغضات تصل إلى رسول الله ، صلوات

الله وسلامه عليه ..

فعندما فتحت مكة ، ودانت العرب كلها بالاسلام ، وأدت الزكاة المفروضة عليها ، ودخل بيوت المسلمين من الغنائم في الحروب وظهرت آثار ذلك في حياتهم ، وحياة أهليهم وأولادهم ـ كان لا بد أن تمتد أعين زوجات الرسول إلى شيء من هذا الذي دخل بيوت المسلمين ، إذ كان في تقديرهم أن الرسول أولى بهذا منهم ..

وهنا جاء حكم الله فيما يجب أن تكون عليه حال زوجاته صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يحجبن أبصارهن عن هذه الدنيا العارضة ، ومتاعها الزائل ، وأن ينظرن إلى ما عند الله من نعيم خالد ، ورضوان من الله في جنات عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين .

وفي هذا يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، ما يجب أن يقوله لزوجاته ، وأن يخيرهن بين فراقه لهن ، وأن يحيين الحياة التي يرونها ، وبين الحياة معه على تلك الحال التي هو عليها ، فيقول سبحانه : « **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ۝ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » (سورة الأحزاب : ٢٨ ـ ٢٩) .

ويقول تعالى مخاطبا نساء النبي : « **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا.وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » (سورة الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٣) .

ويتوعد الله تعالى نساء النبي بطلاقهن منه ، إذا هن خرجن عن طاعته ، فيقول سبحانه : « **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا** » (سورة التحريم : ٥) .

قادة الشرك والعداوة لرسول الله :

وفي مسيرة الدعوة ، وما كان من أهل الضلال والعناد ، أمسك القرآن الكريم برقاب هؤلاء الضالين المعاندين ، وساقهم إلى جهنم ، وهم أحياء بين قومهم ..

فهذا أبو لهب ، عم النبي ! كان من أشد أعداء رسول الله والمحرضين علي عداوته ، هو وامرأته ، أم جميل ، حمالة الحطب ، ينزل الله تعالى فيهما سورة تسمى سورة المسد : « **تبت يدا أبي لهب وتب ۝ ما أغنى عنه ماله وما كسب ۝ سيصلى نارا ذات لهب ۝ وامرأته حمالة الحطب ۝ في جيدها حبل من مسد** » ..

وكان هذا يردد على أسماع قريش ، وينزل نزول الصواعق على أبي لهب وامرأته ..

وهذا الوليد بن المغيرة المخزومي ، توفده قريش ليستمع إلى ما يقول رسول الله ، ثم يأتي فيقول فيما استمع قولا ترضاه منه قريش .. فلما ذهب إلى رسول الله ، واستمع منه إلى آيات من كتاب الله ، عاد إلى قريش وهو خزيان لا يجد شيئا يقوله مما يرضيهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يقول في رسول الله القول الذي ينالون به من رسول الله ..

فجعل يفكر ويقدر ، ثم قال ما ذكره القرآن الكريم على لسانه « **إن هذا إلا سحر يؤثر٭إن هذا إلا قول البشر** » (سورة المدثر : ٢٤ ـ ٢٥) .

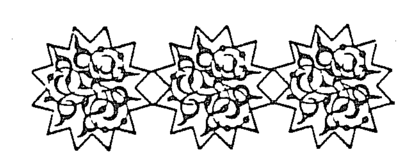
وقد توعد الله هذا العُتُل الزنيم بما جاء في قوله تعالى :

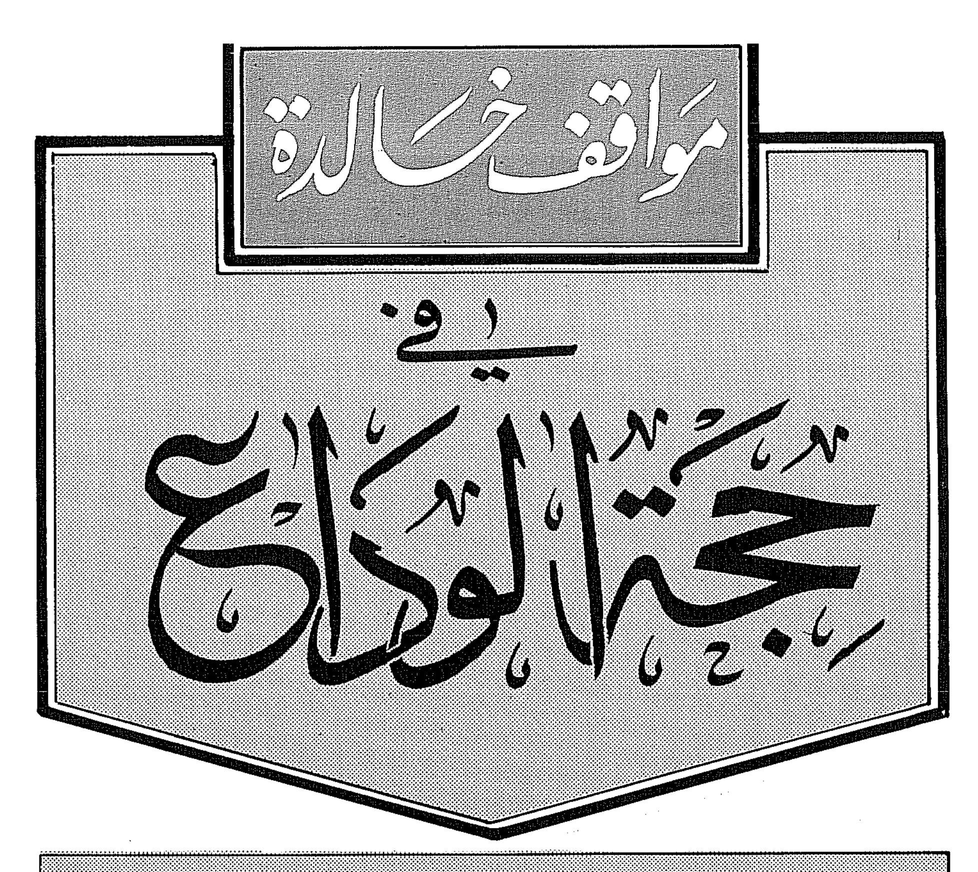
« **ذرني ومن خلقت وحيدا ٭ وجعلت له مالا ممدودا ٭ وبنين شهودا ٭ ومهدت له تمهيدا ٭ ثم يطمع أن أزيد ٭ كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ٭ سأرهقه صعودا ٭ إنه فكر وقدر ٭ فقتل كيف قدر ٭ ثم قتل كيف قدر ٭ ثم نظر ٭ ثم عبس وبسر ٭ ثم أدبر واستكبر ٭ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ٭ إن هذا إلا قول البشر ٭ سأصليه سقر ٭ وما أدراك ما سقر ٭ لا تبقي ولا تذر ٭ لواحة للبشر ٭ عليها تسعة عشر** » (سورة المدثر : ١١ ـ ٣٠) .

البدء والختام :

وهكذا تظل آيات الله ، تتنزل على رسول الله من يوم مبعثه ، إلى أن أدى رسالة ربه ، وألحق بالرفيق الأعلى ، قائمة على حراسته ، دافعة كيد الكائدين له ، مبطلة مدعياتهم ومفترياتهم ، متوعدة لهم بالخزي والهزيمة في الحياة الدنيا وبالعذاب الأليم في نار جهنم خالدين فيها أبدا ، واعدة المؤمنين بالعز والنصر في الدنيا ، وبرضوان الله ونعيم جناته في الآخرة : « **يو م ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم٭يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب٭ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور٭فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير** » (سورة الحديد : ١٢ ـ ١٥) ..

والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، وخاتم النبيين .





للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

تعتبر الآثار والأحاديث النبوية الشريفة التي حفلت بها حجة الوداع .. حاسمة في تاريخ التشريع الاسلامي كله .. نظراً لانها من آخر ما ختمت به الرسالة المحمدية .. مما يعتبر ناسخا لما خالفه مما تقدمه من اوامر ونواه ، وأقوال وأفعال .. فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الحجة الأخيرة في حياته الشريفة يوم الخميس لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة نهارا ، وصلى الظهر بالمدينة اربع ركعات .. ثم صلى عصر ذلك اليوم بذي الحليفة ركعتين قصرا .. وقد سميت حجة الوداع لأكثر من سبب .. فهو قد ودع الناس فيها بقوله في خطبة الوداع اول ايام النحر : « لعلي لا ألقاكم بعد عامي في موقفي هذا » .. ولأنه لم يحج بعدها ، ولأنه أجمل لهم أهم وأخطر ما يحل لهم وما يحرم عليهم وقال : هل بلغت ؟ ، ولأنها الحجة الوحيدة في حياته صلى الله عليه وسلم من المدينة .. وكان ذلك بسبب النسيء الذي عالجت به العرب شهور السنة العربية حتى أخرجتها عن مواقيتها الأصيلة .. وقد أخر الرسول صلى الله عليه وسلم حجته الى العام العاشر من الهجرة لأن أوضاع الشهور العربية وأيامها كانت قد استقرت على ما كانت عليه فيما عند الله تعالى ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبته تلك « ان الزمان قد استدار كهيئتهيوم خلق الله السموات والارض ؟ » وذلك

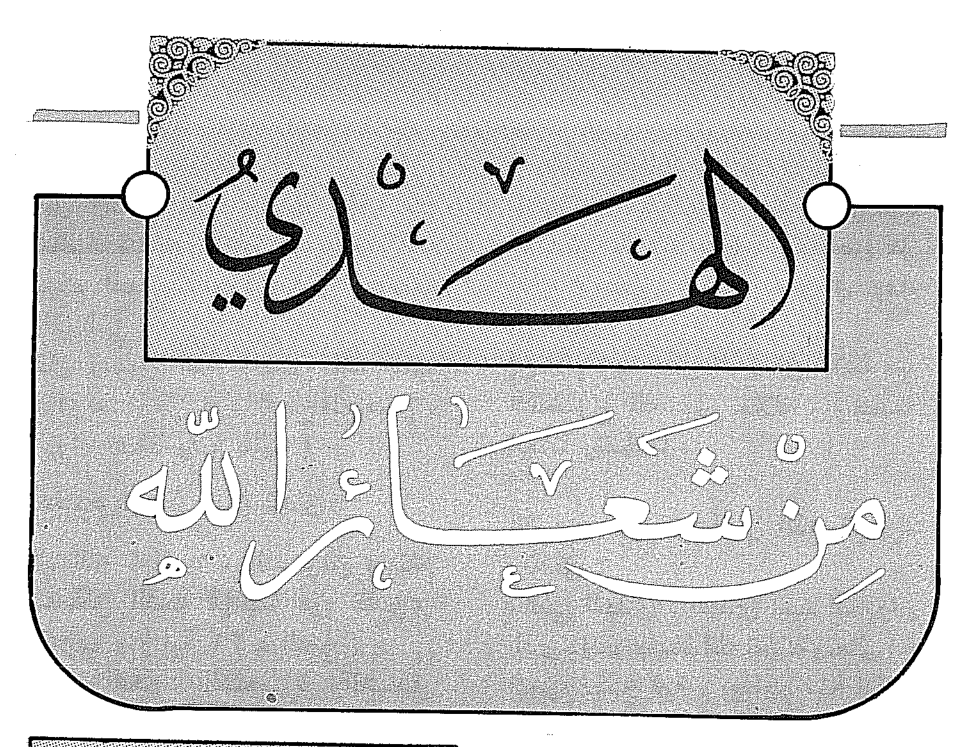
على الرغم من ان الحج قد فرض سنة ست من الهجرة على ما صححه الرافعي في باب السير ، وتبعه النووي .. واما ابو حنيفة فيرى ان الحج فرض في السنة العاشرة من الهجرة ولذا قال : انه واجب على الفور .. وغيره يرى انه على التراخي .. وتصادف عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الحجة الأخيرة في حياته الشريفة أن اصاب الناس بالمدينة مرض الجدري بشكل وبائي منع كثيرا من الناس من الخروج معه .. فقال صلى الله عليه وسلم لهم تطييبا لمن تأخر منهم عن الحج معه : « عمرة في رمضان تعدل حجة .. او قال : حجة معي » رواه البخاري ، والنسائي وابن ماجة مختصرا ، وقد اعاد هذا القول عند عودته من حجة الى المدينة لام سنان الانصارية حين قال لها : « ما منعك ان تحجي معنا ..؟ » قالت : لم يكن لنا الا ناضحان ، « اي جملان » فحج ابو ولدها وابنها على ناضح .. وترك لنا ناضحا ننضح . قال : فاذا جاء رمضان فاعتمري فان عمرة في رمضان تعدل حجة » وفي رواية « تعدل حجة او حجة معي » رواه مسلم بلفظه .. كما قاله ايضا لغيرها من النسوة كام سليم وام طليق وام الهيثم .. وكان يوم عرفة من هذه السنة يوم الجمعة .. وبعد عصر هذا اليوم والنبي واقف بعرفات على ناقته العضباء غشاه ما يغشاه من الوحي ، فكاد عضد ناقته يندق من ثقل الوحي ثم سُرِىَ عنه .. وتلا ما نزل عليه من قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة / ٣ قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتفق في ذلك اليوم اربعة اعياد : عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة ، وعيد لليهود ، وعيد للنصارى ، وعيد للمجوس ، ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم قبله ولا بعده ، ولما نزلت هذه الآية الكريمة استشعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها بفطرته اللماحة الذكية قرب نهاية الرسول ورسالته .. ولذا بكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر ..؟ .. فقال رضي الله عنه : أبكاني أنا كنا في زيادة .. ولا يكمل شيء الا نقص ، فقال : صدقت .. فكانت هذه الآية نعيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ، ولم ينزل بعدها شيء من الأحكام ، وان كان نزل بعدها شيء من القرآن ، وكان آخر ما نزل : (**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**) البقرة / ٢٨١ .. وفي هذه الحجة الخاتمة جاء ذكر الحج عن الغير .. وذلك حين دفع النبي رحله من المشعر الحرام قبل طلوع الشمس من يوم العاشر من ذي الحجة على خلاف ما درجت عليه الجاهلية من انها كانت لا تنفر الا بعد طلوع الشمس .. وقد اردف خلفه يومئذ الفضل بن العباس رضي الله عنه فجاءته امرأة تسأله : يا رسول الله .. ان فريضة الله على عباده .. الحج ، ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال نعم .. فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه .. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل .. فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر .. وفي لفظ : انه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل .. فقال له العباس : يا رسول الله .. لويت عنق ابن

عمك .. قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان » وكان ذلك في منى متفق عليه واللفظ للبخاري وهذه المرأة من قبيلة خثعم .. وقد تعددت روايات الحج عن الغير ، ويجوز تعدد القضايا بتعددها .. وفي بعضها : ان السائل رجل سأل عن حجه عن امه ، والحديث دليل على صحة الحج عن الميئوس من شفائه .. اما غيره فلا .. وفي بعضها : ان امرأة من جهينة قالت : ان امي نذرت ان تحج ولم تحج حتى ماتت .. أفأحج عنها ؟ قال : « نعم حجي عنها .. أرأيت لو كان على امك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله احق بالوفاء » رواه البخاري .. وهذا الحديث وأمثاله يخصص عموم قوله تعالى : **(وأن ليس للانسان الا ما سعى)** النجم / ٣٩ ـ سبل السلام جـ٢ ، : ٢٥٥ ـ وفيه ايضا انه يشترط لصحة الحج عن الغير اداء الحاج عن نفسه اولا .. لما رواه ابو داود وابن ماجة وصححه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه : « ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة .. فقال صلى الله عليه وسلم : من شبرمة ؟.. قال : اخ لي او قريب لي فقال : حججت عن نفسك .. قال : لا .. قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة »

وفي عرفة تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لنظام المواريث فألغى الوصية للورثة مبينا ان فيما اعطاهم الله تعالى من حقوق الارث الكفاية .. كما عرض لنظام الانساب ، وانها لا تثبت الا لصاحب الفراش الشرعي .. وغيره لا يثبت له شيء من ذلك .. ويجب توثيق النسبة الى الاباء والأولياء بدون اشتباه أو تلفيق .. فعن عمروبن خارجة رضي الله عنه قال : « بعثني عتاب بن اسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته .. ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان لعابها ليقع على رأسي فسمعته يقول .. ايها الناس .. ان الله قد أدى الى كل ذي حق حقه ، وانه لا تجوز وصية لوارث .. والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن أدعى الى غير ابيه ، او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » .. وبعد زوال الشمس يوم عرفة امر بناقته القصواء فرحلت .. ثم اتى بطن الوادي فخطب خطبته التي عرفت بخطبة الوداع فذكر فيها : تحريم الدماء والأموال والأعراض ووضع ربا الجاهلية وأسقطه ، فلا يطالب به .. واول ربا وضعه ربا عمه العباس ، كما وضع دماء الجاهلية وأسقط المطالبة بها ، واول دم وضعه دم ابن عمه ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكانت قد قتلته هذيل . وقال : هو اول دم أبدأ به من دماء الجاهلية فلا يطالب به في الاسلام .. وأوصى بالنساء خيرا .

وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على ازواجهن ، وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل .. وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنه لا يضل من اعتصم بذلك ، وأشهد الله على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم .. فاعترف الناس بين يديه بالبلاغ ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ومما قاله : « ان

دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع .. واتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .. وانكم لتسألون عني .. فما انتم قائلون ؟ قالوا : نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت .. فقال مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى يرفعهما الى السماء .. وينكتها الى الناس : اللهم فاشهد اللهم فاشهد اللهم فاشهد » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعين في هذا البلاغ بمن يحمل صوته وبلاغه الى من وراءه ممن بعد عنه من الناس .. فأمر ربيعة بن أمية وكان جهوري الصوت أن ينادي بما نادى به الرسول ويقول له يا ربيعة .. قل : يأيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا .. فيصرخ بذلك وهو واقف تحت صدر ناقته .. وتشاء ظروف ربيعة هذا بعد ان اسعدته ايامه بهذا اللقاء البلاغي في اشرف مكان ، واكرم زمان ، ومع اعظم انسان .. ان تزل به قدمه فيهوي الى الكفر في خاتمة ايامه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. وذلك بعد ان شرب الخمر في عهده .. فخاف من الحد فهرب الى الشام .. ومنها الى قيصر فتنصر عنده .. ومات بارضه .. وكان قد رأى في عهد ابي بكر رضي الله عنه مناما وقصه على ابي بكر .. رأى كأنه في ارض معشبة مخصبة .. وخرج منها الى ارض مجدبة كالحة ؛ ورأى ابا بكر في جامعة من حديد عند سرير .. الى الحشر .. فقال له ابو بكر : ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر .. واما انا فذلك ديني جمع لي في اشد الناس الي يوم الحشر .. ، وقد شرب النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة قدحا من لبن على مرآى من الناس بعثته اليه ام الفضل زوجة عمه العباس ام عبد الله بن عباس ولذا روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه : « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » رواه ابو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه ، والحكمة في ذلك اوضح من الشمس في رابعة النهار .. فان اهل عرفة في شغل وحركة يشق معهما الصيام ، وبهذا استدل الفقهاء على كراهة الصيام في يوم التاسع من ذي الحجة للحاج .. وفي يوم العاشر من ذي الحجة وهو اول ايام النحر .. اعاد الرسول صلى الله عليه وسلم اهم ما خطب به الناس في اليوم السابق تأكيدا له .. وتعميقا لمعناه في النفوس .. فانه بعد ان رمى جمرة العقبة واسامة بن زيد يظلله بثوبه من الحر .. خطب الناس على ناقته وبلال يقودها وذلك بمنى ومما قرره : تحريم الزنا والأموال والاعراض فقال يايها الناس : اي يوم هذا قالوا : يوم حرام : قال .. فاي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأي شهر هذا ؟ .. قالوا : شهر حرام قال : فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا .. اعادها الرسول صلى الله عليه وسلم مرارا .. ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت .. فليبلغ الشاهد منكم الغائب .. لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، خذوا عني مناسككم ، لعلي لا أحج بعد عامي هذا .. وكان وقوفه بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد .



للأستاذ / صلاح احمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه : « **وأتموا الحج والعمرة لله** » (آية ١٩٦ ـ سورة البقرة)

وقال الله جل جلاله : « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** » (آية ٩٦ ـ ٩٧ ـ سورة آل عمران).

وقال الله تبارك وتعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** » (آية ١٩٧ ـ سورة البقرة) .

وقال الله سبحانه وتعالى : « **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** » (آية ٢٧ ـ ٣٠ ـ سورة الحج).

وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » (رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله

عنهما).
وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « يأيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » (رواه مسلم والنسائي).
وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « من أراد الحج فليتعجل » (رواه احمد وابو داود)

تعظيم شعائر الله تعالى :

قال الله تعالى : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » (آية ٣٢ ـ الحج)
تقول اللغة : الشعيرة والشعار والشعارة : تطلق على المكان او الشيء الذي يشعر بأمر له شأن وأطلق على معالم الحج ومواضع النسك ، وتسمى مشاعر ـ جمع مشعر ، وعلى العمل الاجتماعي المخصوص الذي هو عبادة ونسك ..
والشعائر هي المعالم التي ندب الله تعالى اليها ، وأمر بالقيام بها ، وقيل : ان معالم الحج معالمه الظاهرة للحواس ، وقيل : إن شعائر الحج هي آثاره وعلاماته ، أو كل ماكان من اعماله ، كالوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت العتيق ، والسعي بين الصفا والمروة ، والرمي ، ونحر الهدى وغير ذلك .
والشعار ما يشعر به الانسان نفسه في الحرب أي يعلم ، وشعار الحرب ما يتعارف به الجيش .
قال الله تبارك وتعالى : « **ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** » .
وتعظيم حرمات الله تبارك وتعالى هو صيانتها واجلالها ، والشعور في قلب الانسان بالرهبة منها ، والحرص على أداء الحقوق المتعلقة بها في وفاء وإخلاص .
إن القيام بشعائر الله تعالى علامة على الخضوع لله جل جلاله ، وعبادته ايمانا وتسليما .

الهدى من شعائر الله تبارك وتعالى :

معنى الهدى : الهدى اسم للحيوان الذي يهدى باسم الله تبارك وتعالى الى الحرم يذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين .

الهدى في القرآن الكريم : عرض القرآن المجيد للهدى في ثلاث سور : سورة البقرة ، وسورة المائدة ، وسورة الحج ، وعرض له في تلك السور من جهات ثلاث :
أولا : جهة التنويه بشأنه : طلبه وطلب الاخلاص فيه لله سبحانه وتعالى ، وجعله من شعائره التي تجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها ..
قال الله جل جلاله : « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين** » (آية ٣٦ ، ٣٧ ـ سورة

الحج).
وقال الله جل ثناؤه : « **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا** ... » (آية ٢ - سورة المائدة).

ثانيا : جهة الحالات التي يطلب فيها وهي : حالة الاحصار وهي المنع عن إتمام الحج قال الله تبارك وتعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله** » (آية ١٩٦ - سورة البقرة)

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، وحالة التمتع بالتحلل من العمرة الى الحج وحالة الجناية على الحرم بقتل صيده أو قطع شجره ..

قال الله جل جلاله : « **يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النَّعَم يحكم به ذَوَا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعامُ مساكين أو عدلُ ذلك صياما ليذوق وبال أمره** » (آية ٩٥ - سورة المائدة).

وعرض القرآن الكريم للهدى من **جهة المكان الذي** يذبح فيه :
قال الله سبحانه وتعالى : « **حتى يبلغ الهدي محله** » (آية ١٩٦ - سورة البقرة)
وقال الله تبارك وتعالى : « **هديا بالغ الكعبة** » (آية ٩٥ - سورة المائدة) .
وقال الله تبارك وتعالى : « **ثم محلها إلى البيت العتيق** » (آية ٣٣ - سورة الحج) .

الروح الذي يتقبل الله تعالى به الهدي :
أرشد القرآن المجيد الى الروح الذي يتقبل الله تعالى به الهدي ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكاليف ، لا يكفي في تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها اليه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى المقصود بقول الله جل جلاله :
« **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** » (آية ٣٧ - الحج) . وأمر الله تعالى بالتقوى في القرآن الكريم أمرا صريحا (٨٣) مرة ، وذكر مادة التقوى بين الترغيب والترهيب واختلاف الأساليب (٢٤٠) مرة ... وشعب التقوى تتداخل مع الانسانية في كل فكر وقول وعمل ، فالصدق من التقوى ، والوفاء من التقوى ، والعدل من التقوى ، والاحسان من التقوى ، والأمانة من التقوى ، والكرم والتواضع والصبر من التقوى ، ومن خاف على ذريته فعليه بالتقوى ، ومن أراد البركة والرزق فعليه بالتقوى ، ومن أراد معية الله فعليه بالتقوى ، ومن أراد الجنة فعليه بالتقوى ...

فضل الهدى :
ورد عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى

عنها أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال :

« ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب الى الله من اهراق دم ، وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » (رواه ابن ماجة والترمذي).

نوع الهدي :

يجمع العلماء على أن الهدى لا يكون الا من النعم (الأبل ، والبقر ، والغنم) على الترتيب بحسب الأفضلية ، لأن الابل أنفع للفقراء ، لعظمها ، والبقرة أنفع من الشاة كذلك ..

مقدار الهدي :

اختلف العلماء في الأفضل للشخص الواحد هل يهدى سبع بدنة (ناقة أو جمل) ، أو سبع بقرة أو يهدى شاة ؟ والظاهر أن الاعتبار بما هو أنفع للفقراء .

أقل ما يجزىء في الهدى : للمرء أن يهدى للحرم ما يشاء من النعم .. وقد أهدى المعصوم « صلى الله عليه وسلم » مائة من الأبل ، وكان هديه هدى تطوع .

وأقل ما يجزىء عن الواحد شاة ، أو سبع بدنة ، أو سبع بقرة ، فان البقرة أو البدنة تجزىء عن سبعة .

قال جابر « رضى الله عنه » : حججنا مع رسول « صلى الله عليه وسلم » فنحرنا البعير عن سبعة ، والبقرة عن سبعة (رواه احمد ومسلم) .

شروط الهدى :

أولا : أن يكون سليما من العيوب ، فلا تجزى فيه العوراء ، ولا العرجاء ، ولا الجرباء ، ولا العجفاء (الهزيلة) ولا المريضة ..

قال الله عز وجل : « « **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** » (آية ٢٦٧ - سورة البقرة) .

ويستحب اختيار أحسنها ، لأن الله جل جلاله أكرم الكرماء ، واحسن من يختار له ، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل الا طيبا .

ثانيا : اذا كان الهدى من الإبل فان عمره يكون خمس سنوات ، واذا كان من البقر يكون عمره سنتين ، أما الغنم فيجزىء من الضأن ما له ستة أشهر ومن المعز ما له سنة كاملة .

اقسام الهدي :

١ - **هدى مستحب** للحاج المفرد ، والمعتمر المفرد .

٢ - **هدى واجب** لكل من :

أ - القارن والمتمتع .

ب - لمن ترك واجبا من واجبات الحج كرمى الجمرات ، والاحرام من الميقات ، والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة والمزدلفة أو منى أو ترك طواف الوداع .

ح - لكل من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام كالتطيب ، والحلق ، والتقصير .

د - لكل من تعرض لقتل الصيد في الحرم ، أو قطع شجرة .

٣ ـ هدى منذور : وهو واجب أيضا ، لكن بالنذر ، ولا يجوز الأكل منه ، لأنه صدقة وهو حق للفقراء .

٤ ـ هدى تطوع :وهو ما يتبرع به الحاج ، ولا يجوز الأكل منه إذا جعل للمساكين ، أما غير ذلك فيجوز الأكل منه ، والانتفاع بجلده ، وحفظ شحومه .

وقت ذبح الهدى :

اختلف العلماء في وقت ذبح الهدى .. فعند الشافعي « رضي الله عنه » أن وقت ذبحه يوم النحر ، وأيام التشريق لقول رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكل أيام التشريق ذبح » (رواه احمد) فان فات وقته ذبح الهدى الواجب قضاء .

وعن مالك واحمد رضى الله عنهما وقت ذبح الهدى سواء أكان واجبا أم تطوعا **أيام النحر** .

وهذا رأى الأحناف بالنسبة لهدى التمتع والقران .

وأما دم النذر والكفارات والتطوع فيذبح في أي وقت .

وحكى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، والنخعي : **وقتها من يوم النحر الى آخر ذي الحجة** .

مكان الذبح :الهدى ـ سواء أكان واجبا أم تطوعا ـ لا يذبح الا في الحرم ، وللمهدي أن يذبح في أي موضع منه .

والأولى بالنسبة للحاج أن يذبح بمنى ، وبالنسبة للمعتمر أن يذبح عند **المروة ، لأنهما موضع تحلل كل منهما** ، اما المحصر فمكانه المحل الذي **أحصر فيه** والأفضل أن يبعثه للحرم .

كيف يتم نحر الهدي :

يستحب أن تنحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى .

أما نحر البقر والغنم فيستحب ذبحها مضطجعة .

ويستحب أن يذبحها بنفسه إن كان يحسن الذبح ، والا فيندب له أن يشهده .

الأكل من لحوم الهدى :

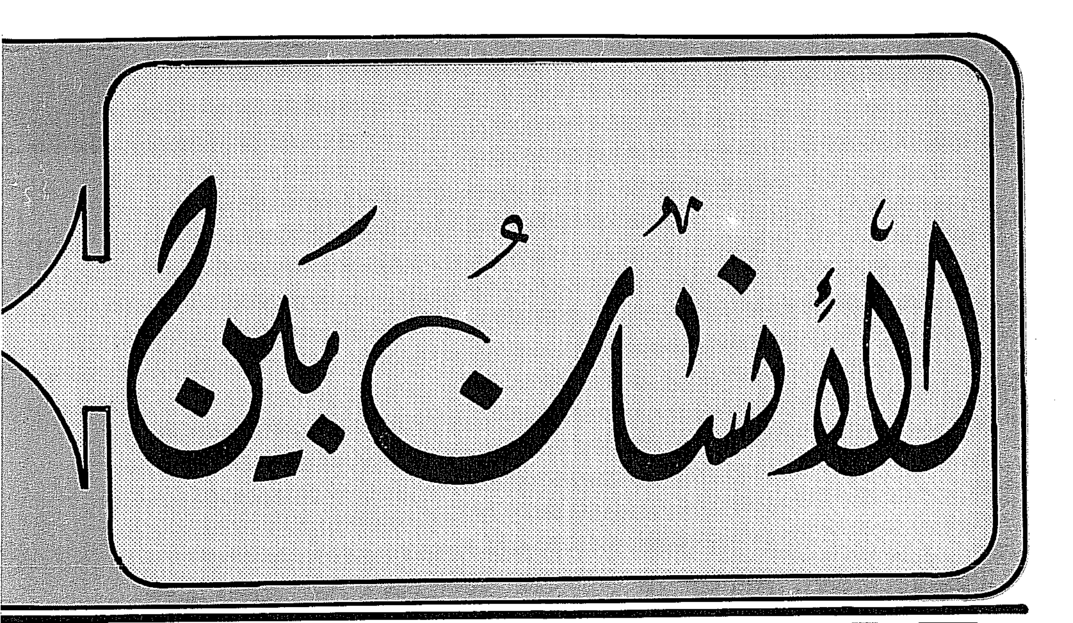
أمر الله تعالى بالأكل من لحوم الهدى فقال عز وجل : « **فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** » (آية ٢٨ ـ سورة الحج) .

ويشمل ذلك هدى الواجب ، وهدى التطوع .

وللمهدى أن يأكل من هديه او يتصدق بما يراه ، وقيل : يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف ... وقيل : يقسمه أثلاثا ، فيأكل الثلث ، ويهدي الثلث ، ويتصدق بالثلث .

حكمة ذبائح الهدى :ويعتبر ذبح الهدى في الحرم إحياء لسنة ابراهيم « عليه الصلاة والسلام » وتذكرة بنعمة الله تبارك وتعالى عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل « عليه السلام » من الذبح الذي ابتلاه الله تعالى به ، إظهارا لقوة إيمانه .

وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي العربي وعلى آله وصحبه وأمته وسلم تسليماً كثيرا .



لو لم تستتبع آيات الخوف من وعيد الله ، آيات الرجاء بوعد الله لأظلمت الحياة على الأرض ولو لم يذكرنا الرسول بالجنة ونعيمها مع النار ولهيبها لقنط الانسان من رحمة الله .

بلغ رسول الله عن أصحابه شيء ، فجمعهم وخطب فيهم فقال : « عرضت عليّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيرا » (متفق عليه)
تأثر صحابة رسول الله بهذه الموعظة وعظم خوفهم ، وطال انزعاجهم من هول الآخرة ، فما أتى عليهم يوم أشد من هذا اليوم ، فغطوا رؤوسهم وهم يخفون نشيجهم بالبكاء ..

لقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآخرة ، وهم يرون أنفسهم بين يدي الله ، فيتملكهم الخوف الشديد ، ويبكون بكاء مرا ، وتذكروا حديث رسول الله :
« لا تزول قدما عبد يوم القيامةحتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » (رواه الترمذي)

لقد بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذكرهم بأخبار الآخرة وكأنه قرأ عليهم كتبهم وكأنه تلا قول الله عز من قائل :
(**يومئذ تحدث أخبارها**) الزلزلة/ ٤ وما أخبارها ؟ يقول لهم الرسول : تشهد

الخوف والرجاء

للدكتور/ حسن الشرقاوي

على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها .. تقول : « عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا .. فهذه أخبارها » رواه الترمذي

ألا يخاف الناس ، كل الناس من سماع أخبار الآخرة ، ألا ترتعد فرائصهم من هول ما يسمعون ، وكيف يطيب لهم العيش وقد اقتربت قيامتهم ..

وكيف ينعم الناس وهم يتذكرون يوم الحشر وقد حشروا حفاة عراة غير مختونين نساء ورجالا .. فالأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض ..

لكن لو بقي هذا الخوف قائما على قلوب صحابة رسول الله ، لبكوا الدهر كله ، ولعظمت خشيتهم من هول الآخرة ، فما هنأ أحدهم من طعام ، وما استمتع بمال أو رياش ...،

لو أن الانسان تذكر آيات الوعيد والخوف الشديد ، كأن يتلو على نفسه : (**وإياي فارهبون**) البقرة/ ٤٠ و : (**إن بطش ربك لشديد**) البروج/ ١٢ و : (**إن أخذه أليم شديد**) هود/ ١٠٢ و : (**وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود**) هود/ ١٠٣ و ١٠٤ (**فمنهم شقي وسعيد**) هود/ ١٠٥ و : (**وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**) الحج/ ٢

لو أن الانسان بقى على هذا الخوف من وعيد الله دهرا ، لقنط من رحمته ، وذاب من رهبته ، واضاع عمره فزعا مرتعبا من بطش الله الشديد ..

لكن سبق عدل الله تعالى رحمته ، فكان مع جناح الخوف جناح الرجاء ، وهما

جناحا الايمان ، وكأن الايمان طائر له جناحان أحدهما الخوف والآخر الرجاء وبهما معا يستقيم طيرانه ، فاذا ما فقد أحدهما أو كليهما لم يستطع الطيران .

ليس هناك رجاء في الله أفضل من ذلك الحديث الذي ذكره معاذ بن جبل عند موته ورواه أنس رضي الله عنهما :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك

الرسول : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك

الرسول : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك

الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار » ..

وإذا استمع المسلم إلى هذا الحديث عمر قلبه الرجاء واستبشر بوعد الله ، وأمن ساعة من وعيد الله .. وربما ساعات وأياما ..

لذلك فقد سأل معاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس كل الناس بهذا الحديث الذي يسكن القلوب ويملأ النفوس طمأنينة وأمنا قال معاذ للرسول صلى الله عليه وسلم :

أفلا أخبر الناس بهذا الحديث فيستبشروا ؟

فأجاب صلى الله عليه وسلم :

إذن .. يتكلوا .. » رواه البخاري .

لقد خاف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتواكل الناس عند سماعهم هذا الحديث ويقعدوا عن السعي وأن يتقاعسوا عن مجاهدة النفس وتعويدها على صالح الأعمال ..

ولو لم يخف معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقع في اثم كتمان العلم ، وخاصة إذا كان حديث رسول الله لو لم يخف معاذ وهو على فراش الموت من إثم كتمان الحديث المذكور ما حدث به أحدا ولحبسه معه في قبره إلى يوم يبعثون ..

إن الرجاء في الله يعطي للانسان القوة على مواصلة الحياة برغم ذنوبه العديدة ومعاودة اقتراف ذنوب جديدة ، يقول أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه » متفق عليه .

لقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبشر صحابته ، وأن يطمئن قلوبهم ، فمع وجود آيات الترهيب والنذير والتخويف الشديد التي جعلت بعضهم يفر إلى رؤوس الجبال ويعتزل النساء ويظمأ نهاره ويسهر ليله ، ويكثر من العبادة آناء

الليل وأطراف النهار ويبكي خوفا من وعيد الآخرة ولا يأمن على نفسه من مكر الله ..

لقد بشر الرسول صحابته برب كريم غفور رحيم فيقول لهم : « أذنب عبد ذنبا فلجأ إلى الله تعالى فقال العبد :

ـ اللهم اغفر لي ذنبي ..

قال الله تبارك وتعالى :

« أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. ثم عاد فأذنب العبد فلجأ إلى الله تعالى وقال :

ـ اللهم أغفر لي ذنبي ..

فقال الله تبارك وتعالى :

أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. ثم عاد العبد إلى الذنب فأذنب ، فلجأ إلى الله فقال :

ـ أي رب . اغفر لي ذنبي ..

فأجاب تبارك وتعالى :

أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. لقد غفرت لعبدي ، فليفعل ما يشاء » (متفق عليه)

وتظهر آيات الرحمة في هذا الحديث ، فبرغم عودة العبد إلى اقتراف الذنب ، فقد وجد ربا غفورا رحيما يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر منه ما دام محافظا على طلب المغفرة متوسلا إلى الله أن يعفو عنه ويصفح عن ذنبه .. وهنا تتجلى معاني الرحمة الالهية ، التي تجعل قلب العبد مستبشرا بالله راجيا له تعالى ..

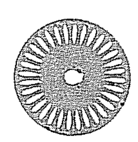
وهو يعلم علم اليقين أنه تعالى لن يخذله أبدا حين يتذكر قوله تعالى :

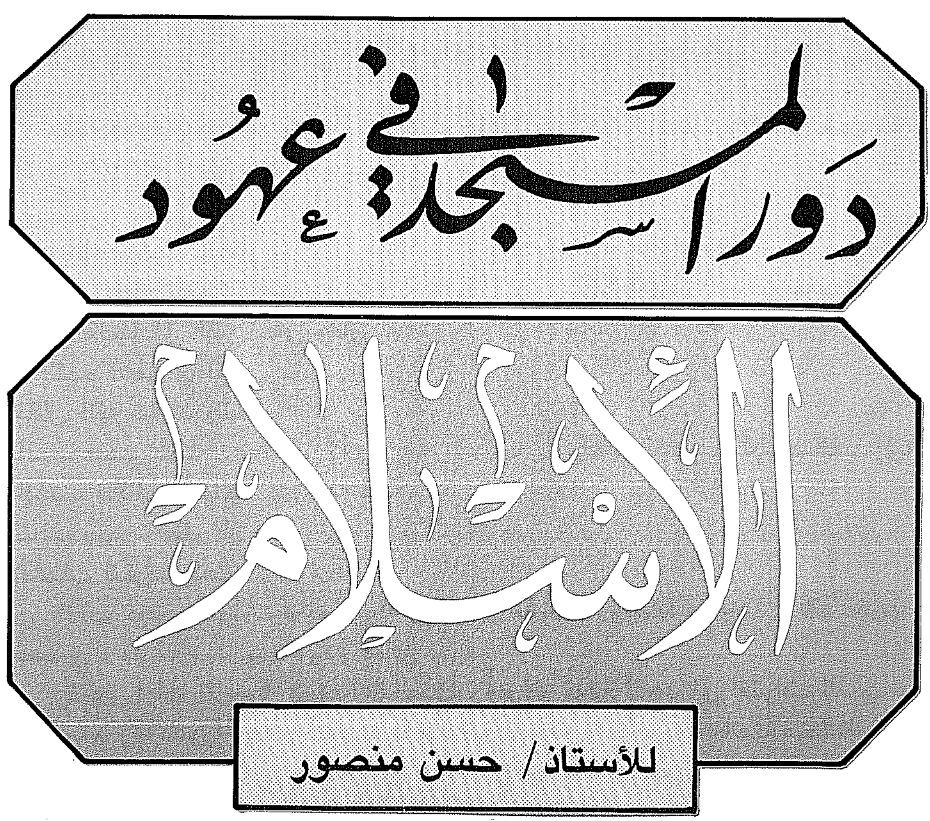
(ورحمتي وسعت كل شيء) الأعراف/ ١٥٦

وعندما يتذكر المذنب قوله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر/ ٥٣

فالانسان المؤمن يحيا بين الخوف والرجاء ، الخوف من وعيد الله والرجاء في وعد الله ، فمع وجود الترهيب يوجد الترغيب ، ومع الخوف من عذاب جهنم يوجد الاستبشار بنعيم الجنة ، وبين هذا وذاك يتطهر الانسان من الأدران ، ويغتسل من الآثام ويولد في كل توبة ميلاد جديد ، ويجد في رحمة الله الملجأ الأخير فيطرح حمله الثقيل ويدخل في رحمة الله فيولد من جديد ..





الحمد لله ولي النعمة ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي أنقذ الأمة ، وهداها الى طريق مستقيم ، مبشرا ومنذرا ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .

وبعد ، فإن المسجد في الاسلام مركز توجيه فكري وروحي للأمة الاسلامية ، ومركز عطاء كبير اجتماعي وفردي لعامة المسلمين وأئمتهم ، ومكان اجتماع في كل أمر يهم جماعة المسلمين . ولولا عظمة رسالة المسجد وعظم مكانته في الاسلام ما كان المسجد أول بيت وضعه الله للناس « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين** » آل عمران/٩٦ فالمسجد هو البيت الأول الذي نزل ببنائه ورفعه الأمر الالهي : « **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** » الحج/ ٢٦ ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ البقرة/١٢٧ .

وتكريما لذكرى أول بيت وضع للناس ؛ جعل الله البيت الحرام قبلة ومحجا يحج إليه ويطاف حوله ، وعهد بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع والسجود . قال تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » آل عمران/٩٧ وقال أيضا : « **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين**

والركع السجود » البقرة/ ١٢٥ .

فكان هذا المسجد الأول أبا لكل المساجد إذ تتجه قبلتها اليه وكان البلد الحرام من حوله أم القرى . ولذلك لما هاجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة كان أول عمل قام به هو بناء مسجد قباء ، وهو المسجد الذي ذكره القرآن في قوله تعالى : « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** » **التوبة/** ١٠٨ . ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بتوجيه أصحابه لبناء هذا المسجد بل شارك أصحابه في أعمال البناء فكان يحمل التراب مع المسلمين ويحمل اللبن والحجارة على بطنه الشريفة اغتناما للأجر وتشجيعا على الأمر ومشاركة للمسلمين في صالح العمل . وتخليدا لهذه الذكرى الكريمة : ذكرى أول مسجد بناه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أول مسجد بني في الاسلام . وكان الرسول يزوره كل يوم سبت تارة راكبا وتارة ماشيا كما ثبت في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخاري ومسلم : (صلاة في مسجد قباء كعمرة) وفي رواية أخرى (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة) .

○ الحث على بناء المساجد ○

فالمساجد هي البيوت التي خصها الله بإعلان الأذان برفعها رفعا ماديا بالبناء والتشييد ورفعا معنويا بالتطهير والتمجيد قال تعالى : (**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**) النور/ ٣٦ ـ ٣٨ ومع أن الأرض كلها لله ، فقد خص الله المساجد منها بأنها له لرفع الملكية المجازية الانسانية عنها ، ولتكون أماكن لعبادة الله وحده والدعاء له وحده والقيام بالأعمال التي ترضيه ، مطهرة ، محترمة ، مصونة من الأدناس المادية والمعنوية . قال تعالى : (**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**) . الجن/ ١٨ ولما كانت المساجد لله وحده والأعمال التي تقام فيها يجب أن تكون له وحده ولا يقصد بها غير وجهه ، كان من الطبيعي حصر إعمارها بمن آمن بالله واليوم الآخر ، لأن هؤلاء هم الذين يعنيهم ابتغاء مرضاة الله وهم الذين يسعون لنيل الثواب الذي أعده الله لعباده الصالحين ، قال تعالى : (**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ۝ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**) التوبة/١٧و١٨ .

○ قداسة المسجد ○

وفي تكريم المساجد وتنزيهها جاء النهي عن دخولها لمن كان جنبا إلا أن يكون عابر سبيل لحاجة دعته . وفي هذا تنبيه على ضرورة صيانة المساجد واحترامها وحفظها من كل الأرجاس والأدناس المادية والمعنوية وضرورة صيانتها عن الأعمال الدنيوية البحتة التي تهم أفراد الناس كالبيع والشراء واللهو واللغو .

ومن نصوص الكتاب والسنة ومن عمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتبين لنا مدى أهمية المسجد في الاسلام ، لتربية الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي - فهو المكان الجامع الأول للتربية الاسلامية . فالمجتمع الاسلامي لا يكتسب صفته الكاملة إلا إذا التزم الاسلام عقيدة وعملا ولا تظهر له جماعة ولا رابطة إلا من خلال المسجد بروحه ووحيه وآدابه ومضمون رسالته .

○ المسجد يوحد الجماعة ○

ففي المسجد تظهر معاني الاخوة والمودة بين المسلمين ، اذ تلتقي الأجساد بالأجساد دون فوارق وتلتقي القلوب بالاخوة الايمانية وتلتقي الأرواح في مسلك حب الله والخضوع له والتذلل بين يديه في عبادة صادقة مخلصة . وفي المسجد تظهر روح الجماعة بين المسلمين القائمة على الحق والعدل ، فلا أثرة ولا أنانية ولا تعالي ولا تفاخر ولا تكاثر في أعراض الدنيا ، ولا تباهي بحظوظها الباطلة . كما تظهر في المسجد معاني النظام والانضباط والطاعة للقيادة ووحدة الصف والحرص على المواقيت فيكتسب المسلم بممارسة العبادات في المسجد خلق الصبر والمشاركة الجماعية ، وحسن التعامل مع الناس بالرفق واللين . كما يكتسب أخلاق الطاعة والنظام والانضباط ، والتزام الحق كما يتدرب على مشاعر المساواة مع إخوانه المسلمين فيتخلص من نوازع الكبر والتعاظم والتعالي أو الترفع عن مجالسة الفقراء والضعفاء ، إذ يشعر أنهم بعبوديتهم لله ، وصدق طاعتهم له قد يكونون أعلى منه مقاما عند الله يوم القيامة وأرقى منزلة وأعظم ثوابا كما يتدرب على الجلوس على الأرض والتواضع لله والصبر على مزاحمة الناس وتحمل وضع جبهته عند مواطىء أقدامهم . كما يتدرب المسلم في المسجد على حسن التجمل للناس ومراعاة ما يسرهم ، والرحمة بالفقراء والضعفاء وذوي الحاجات فيعينهم ويأخذ بأيديهم ، ويسعى في قضاء شؤونهم بدون وساطة أو وجاهة وبذلك تتوطد الروابط الجماعية بين المسلمين ، فيكونون مصداق الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم . ومهما انصرف كل مسلم الى بيته يعبد الله في خلواته فان معاني الجماعة الاسلامية التي يعطيها المسجد لا يكون لها وجود في غيره ، والمسلمون لا يزالون بخير ما دام المسجد هو المكان الجامع الذي يشد

أواصر وحدتهم ويوثق عرى جماعتهم .

ففي المسجد يذكر المسلمون ربهم ، ويتعلمون أمور دينهم ويتلقون دروس الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الله بحكمة . كما يستمعون إلى آيات الله ويتدبرون ما فيها من معان قدسية تربوية ، وأحكام دينية وعلوم غيبية وعظات وقصص وأخبار .

○ المسجد يهذب النفوس ○

وفي المسجد تنزل السكينة على قلوب العابدين القائمين الراكعين الساجدين ، فتصفوا قلوبهم من أهواء الدنيا وزينتها وتحلو لهم الآخرة وترفرف لها أرواحهم ، فيسعون لها سعيا وهم مؤمنون . فاذا خرجوا من المسجد كان ما اقتبسوا فيه مددا لهم يرافقهم في أعمالهم فيقوم سلوكهم ويدفعهم إلى فعل الخيرات واغتنام الصالحات وترك السيئات والمنكرات ، قال تعالى : « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** » العنكبوت/ ٤٥

من كل ذلك يظهر لنا ما للمسجد من آثار تربوية لأفراد المسلمين وجماعاتهم حيث يكتسبون فضائل الأخلاق ومحاسن السلوك ومن أجل هذه المكانة العظيمة للمسجد في تربية الفرد والمجتمع أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببناء المساجد وتنظيفها وتطييبها وأخبرنا بالثواب العظيم لمن بنى مسجدا . روى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله يقول : « من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » وروى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة » .

وروى أحمد وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب » ولم تقتصر رسالة المسجد في العصر النبوي على أداء الصلاة وسماع الموعظة وحضور مجالس العلم بل كان المسجد يومئذ مركز المهمات الكبرى لجماعة المسلمون فكلما حزب المسلمين أمر نادى المنادي : الصلاة جامعة فيجتمع المسلمين ويقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيخطب فيهم ويعرض عليهم الأمر ويستشيرهم وربما تم إبرام قضية كبرى من قضايا المسلمين في السلم أو الحرب .

فالوظيفة الأولى للمساجد هي أنها أماكن عبادة يؤدي فيها المسلم صلاته ويذكر الله فيزكي نفسه ويسمو بروحه ، كما أنه ينظر في أمور دنياه ولذلك كان المسجد النبوي الشريف في العهد الاسلامي الأول يقوم مقام المجالس الشورية الآن ومجالس النواب فكثيرا ما عقدت فيه مجالس الصحابة للتشاور والنظر في الأمور الهامة كما حدث ذلك قبل غزوة أحد وغزوة الأحزاب ، بحيث يكون النظر في شؤون

الحرب والسلم والمعاهدات والصلح ومصالح الدولة وحقوق الرعية حتى كان المسجد هو المنصة الرسمية التي يعلن منها عن سياسة الدولة ومنهاج عملها . كما أنه المقر الرسمي الذي تتم فيه مبايعة من يختاره المسلمون ليكون أميرا عليهم كما كان المحكمة التي تصدر عنها أعدل الأحكام على هدى شريعة الله .

○ المسجد وسيلة إعلام ○

نعم كان المسجد النبوي يقوم مقام وسائل الاعلام في الدفاع عن الاسلام والمسلمين والمنافحة عن الدين وتثبيت الدعوة وإبطال الترهات والأقوال الزائفة والاشاعات المغرضة وتصحيح المفاهيم الخاطئة .

فقد ثبت أن حسان بن ثابت صاحب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ينشد الشعر في المسجد النبوي في إظهار محاسن الاسلام ويدافع به عن المسلمين ويظهر فضائلهم ومحاسنهم وذلك بحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففي صحيح البخاري أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له مرة : « أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس » .

وهكذا نرى المسجد في صدر الاسلام كان يؤدي دورا كبيرا وواسعا في حياة المجتمع أوسع شمولا من كونه مجرد مكان تؤدى فيه العبادات . وفي وقت الحروب والغزوات ينقلب المسجد إلى مركز تدريب ومستشفى عسكري فقد ثبت ان المسجد النبوي كان مركز تدريب على فنون القتال وإعداد الجنود والسلاح كما ثبت أن بعض الصحابة كان يعد القسي ويعد السهام في رحاب المسجد النبوي ، كما خصص جانب منه لمداواة الجرحى ومرضى الحرب وقد كانت السيدة رفيدة الصحابية الصحابية الجليلة تقوم بتمريض الجرحى وتضميد جروحهم ونصبت لها خيمة خاصة لذلك كما نصبت خيمة أخرى لبني غفار لتمريض جرحاهم . وفي يوم الخندق أمر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن تضرب خيمة بالمسجد لسيدنا سعد بن معاذ عندما أصيب في ذلك اليوم ليكون قريبا منه ويرعاه ويعوده .

○ المسجد ملجأ ومبرة ○

وفي أوقات السلم كان المسجد النبوي يقوم مقام الملاجىء والمبرات التي يأوى اليها الغريب وابن السبيل فيجد البيت الذي يأويه والطعام والشراب بل والكساء .

فقد كان بالمسجد النبوي صفة ـ وهي مكان مظلل في مؤخرة المسجد ـ يأوي اليها من لا دار له وبها نزل أهل الصفة ، وهم ضيوف الله وضيوف الاسلام . كانوا

يجدون المأوى والطعام والشراب والكساء كما حدث بذلك أبوهريرة وغيره من الصحابة في صحيح البخاري وكما كان دار ضيافة للوفود التي ترد على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد ثبت أن بعض الوفود كانت تبيت بالمسجد ويوكل الرسول اليهم من يرعاهم ، وذلك ليعرفوا الاسلام عمليا - مثل كيفية أداء الصلاة والوضوء - بعد أن يلقن اليهم ويدعون اليه .

كما لعب المسجد دورا آخر من أدوار البر والمعروف فقد كان المسجد النبوي يقوم مقام الجمعيات الخيرية الآن حيث يقوم بجمع الزكاة والصدقات من الأغنياء والمثقفين في سبيل الله ، ويقوم بتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين .

○ المسجد هو المدرسة الأولى في الاسلام ○

من المعلوم انه لم يكن للنبي - صلى الله عليه وسلم - مدرسة مشيدة ولا معهد تعليم يجلس فيه إلى أصحابه يحاضرهم ويعلمهم ، بل كانت مجالسه العلمية بالمسجد حيث يجتمعون فيه أغلب الأوقات لأداء الفرائض . بحيث كان المسجد هو المكان الرسمي للعلم والتعليم والمذاكرة والوعظ والارشاد .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية تطور تبعا لذلك دور المسجد وصار معهد علم وتدريس لكل الفنون والعلوم . فعرف المسجد النبوي حلقات ابن المسيب والامام مالك . واستمرت رسالة المسجد تزدهر طوال عصور وازدهار الاسلام وتحافظ على رسالتها وتنمو معطياتها حتى صارت بعض المساجد الكبرى في العالم الاسلامي بمثابة معاهد وأكاديميات علمية ذات شأن عظيم يتخرج منها المحدثون والمفسرون والفقهاء والخطباء والوعاظ والمؤرخون وعلماء السير والأدباء والشعراء واللغويون والنحويون وبرز في هذا المضمار مساجد صنعاء باليمن والجامع الأموي بدمشق والجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس والقيروان بفاس . وتبارى الملوك والأمراء في بناء مدارس ملحقة بالجامعات لاقامة الطلبة وسكناهم ورصدت لها الأوقاف الخاصة والعامة للصرف عليها . وكان من أثر ذلك ازدهار العلوم والثقافة في كافة المجتمعات الاسلامية وقيام حضارة راقية يدين لها بالفضل عصرنا الحديث فأخرجت ألوف العلماء في كل علم وفن حتى زخرت الحضارة الاسلامية بما لم تزخر به حضارة قط . واستطاعت هذه المؤسسات العلمية أن تصنع من الأمة الاسلامية مجتمعا يتعاون على تحويل العلم الى عمل مثمر وجهاد نافع وتحققت بذلك رسالة العلم في الحياة .

وتعددت مراكز الاشعاع مع النمو البشري والفكري والتطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وتزايد عدد العلماء الأعلام الذين زخرت بهم الحياة الثقافية والعلمية وتوثقت الصلات المادية والروحية وتوالى تنقل الأساتذة والطلاب بين مراكز الاشعاع العلمي والثقافي والحضاري فكان العلماء يتنقلون بين هذه

المراكز ويتطارحون القضايا والمشكلات ويقيمون المناظرات والمناقشات والطلاب يتوافدون على الجامعات العلمية يرشفون من مناهلها .

وقد نشأ عن ذلك تبادل ثقافي عميق بين المدارس العلمية في مختلف البلدان الاسلامية ولا سيما في مغربنا العربي الاسلامي من ذلك العلاقة الثقافية والعلمية بين المغرب وتونس المطبوعة بالمتانة والوثوق منذ أن ساد المذهب المالكي في المغرب العربي الكبير على يد علي بن زياد في تونس بوساطة جامع الزيتونة وأسد بن الفرات في القيروان بوساطة جامع عقبة ثم التحق بهما جامع القرويين بفاس عندما تقاطر الطلاب من المغرب على تونس والقيروان لدراسة المدونات المالكية وتلقيها كما انتقل العلماء الى المغرب والأندلس لنشر المذهب المالكي .

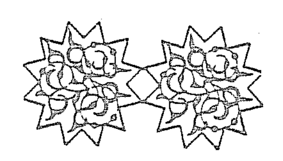
كما ثبت أن هناك ترابطا واتصالا علميا آخر : من ذلك تبادل المعلومات والاكتشافات الطبية التي وقعت بين ابن الجزار الطبيب القيرواني الشهير مع ابن زهرة الطبيب الشهير في بلاط المرابطين بالمغرب . ويكفي أن نذكر أن من بين الأعلام الذين لعبوا دورا في ربط الصلات بين المغرب العربي بثقافتهم ومجهودهم العلمي عبد المؤمن بن علي الذي وحد المغرب الكبير من برقة إلى المحيط الأطلسي .

○ دور المساجد اليوم ○

أما رسالة المسجد اليوم فقد انحسرت وتقلصت حتى أصبحت أماكن للعبادة والصلاةو فحسب . وفقدت الكثير من هذه الخصائص والوظائف التي قامت بها في صدر الاسلام أو بعده في عصوره الزاهرة ، فضعف دور المسجد واتسعت الفجوة بينه وبين الواقع المعاش في المجتمع فضعف تأثيره فيه لأن الأوضاع الاقتصادية أثرت في المناخ خارج المسجد فأصبح تأثيره على المجتمع ضعيفا ، وبذلك ضعف الوازع الديني في المجتمع .

والذي نرجوه في هذه الظروف ونتمنى على الله تحقيقه هو أن يعيننا على تغيير مجرى حياتنا ويخفف حدة المادة من نفوسنا حتى تستشف معاني الايمان وتتشبع بروح الاسلام فتزكو بمعالم الهداية وتثوب إلى رشدها وتهتدي إلى الصراط المستقيم .

فاللهم أعنا على تعمير بيوتك في الأرض وبيض وجوهنا يوم العرض واهدنا الى صراطك المستقيم واجعلنا من الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الظالين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .





للأستاذ : محمد فوزي حمزة

إبادة الشعب .. واستلاب امواله واغتصاب أرضه .. ذلك ما تفعله اسرائيل اليوم في شعب فلسطين ، وما تريد أن تفعله في بقية المنطقة لو لم يحترز من فيها من يوم هي تخطط له وتلهيهم عن ضرورة الاستعداد له لتستدرجهم إليه استدراجا فتنقض عليهم فيه .

وهذا الذي تفعله اسرائيل اليوم هو أيضا ما كانت تفعله في الزمن القديم كلما قدرت عليه ، والمذبحة التي شهدتها مثل هذه الأيام في مخيمات اللاجئين ببيروت والتي راح ضحيتها آلاف الوادعين من الشيوخ والأطفال والنساء إذ انقضت عليهم قوى اسرائيل بعد إبعاد مقاتليهم وإبادتهم عن آخرهم ، ليست هي الأخيرة من نوعها طالما بقى من أمتنا من يمشون بأنفسهم

حسب خطة اسرائيل وينساقون لرغباتها طائعين مختارين ويعيشون ـ كما تريد ـ لاهين عن خطرها غير مستعدين له ، كما أنها ـ أي المذبحة ـ ليست هي الأولى في تاريخ الفظائع الصهيونية ، .. « صبرا » ، « شاتيلا » .. اسمان لضاحيتين في بيروت ، وعلامتان من علامات العار والخزي على جبين الصهيونية ، ومن قبل « دير ياسين » ، « يافا » و « قبيه » وغيرها ، وفي الزمن القديم « أريحا » .. و « عاي » ومدائن أخرى .. وما أكثر علامات العار على جبين الصهيونية .. فما قصة هذه المدائن ؟ وماذا جرى فيها من مذابح ؟ هذا ما سأقصه عليك .. من التاريخ المعاصر .. ومن العهد القديم .

رضا الرب في العهد القديم

في قراءة العهد القديم ، وباستثناء الاصحاحات الأولى التي تصف قصة الخلق والتكوين ، لا تقع على ذكر للجنة ولا للنار ولا عن الثواب والعقاب ولا الدار الآخرة جميعا ، وانما رضا الرب وغضبه في الكتاب المقدس هو تسليط بني اسرائيل على شعوب الأرض او كفهم عن هذه الشعوب ، ولا يذكر الكتاب المقدس فترة رضى فيها الرب عن بني اسرائيل إلا ويذكر انه ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ مكنهم من جيرانهم وامرهم بقتلهم واغتصاب ارضهم واستلاب أموالهم ، ولا يذكر غضب الرب إلا بمناسبة أضمحلال القوة في بني اسرائيل وتحول الميزان العسكري إلى غيرهم وانحسارهم عن الظلم والطغيان ، والمسألة كلها أنهم كانوا كلما تقووا على غيرهم وكثر نفيرهم استعدوا للغزو واحكموا رباطاتهم مع القوى الكبرى التي تمكنهم او تمنعهم منه ، ثم يفتعلون الأسباب للاقدام على الضربة الغازية .. ويقدمون عليها إقداما وحشيا بربريا سمته النهب والغصب والابادة ثم يقولون : رضى ربنا عنا !!

وعندما قويت شوكتهم في عصر « يشوع بن نون » واستعدوا لغزو فلسطين أيام الغصب القديم ، قال قصاص العهد القديم إن الرب رضى عن إسرائيل ، وحسب الطبعة الصهيونية للتوراة عبر الرب عن رضاه عن « شعبه المتميز » بأن وعدهم بأراضي فلسطين ومكنهم من اغتصابها فطفقوا يغتصبونها ويبيدون أهلها على نحو ما سنرى .

اريحا

وكانت أريحا من أوائل الضواحي الفلسطينية التي تعرضت للغزو الصهيوني في ذلك « الطروء » القديم ، فزعم الكتاب المقدس أن الرب وعد السفاح الاسرائيلي « يشوع » بأن يمكنه من أهلها ويغلبه عليهم ليطردهم منها ويستولى عليها ويوزع أراضيها على بني قرابته .

وكان هذا الوعد المزعوم بعد موت موسى فكان منطقيا من « قصاص التوراة » أن يختار لمزاعمه قائد جند موسى يخلعها عليه وهو يشوع بن نون ، فزعم أن الرب أمر هذا القائد بأن يعبر الأردن ليعطيه الأرض التي هو معطيها لبني اسرائيل ـ يشوع ١ : ٢ ، وطبقا للطمع الصهيوني المعهود في بني اسرائيل فقد شمل الوعد المزعوم « كل موضع تدوسه اقدامكم » إلا أنه جعل حدودا مرحلية لهذا الملك الذي لا يرى آخره فجعل حدود هذه المرحلة « من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس ـ يشوع ١ :٣، ٤ » .

إلا أنه بدا جليا أن يشوع لم يتلق هذا الوعد من السماء وإنما لفقه مؤلفو التوراة تلفيقا إذ أن يشوع عندما خاطب جنده وحلفائه لم يكن يبلغهم أمرا من الرب وإنما كان يجلو لهم فرصة لاغتصاب أملاك الغير ، فبينما كان يستنفرهم للقتال لم يكن يخاطبهم بخطاب يستثير فيهم عوامل الحمية الدينية وإنما عوامل المصلحة الشخصية والطمع اليهودي والشرة الصهيوني

نحو الاغتصاب » حتى يريحكم الرب ويملك أخوتكم مثلكم ويمتلكوا هم أيضا الأرض ـ يشوع ١ : ١٥ ـ » .

المهم أن الباغي يشوع تقدم بجنده ليحاصر أريحا ويذل أنفاسها بمنع المؤونة والماء عن شعبها ، وطال الحال وأريحا « مقفلة بسبب بني اسرائيل ولا أحد يخرج ولا أحد يدخل يشوع « ٦ ـ ١ » ، ثم بدأ الغزاة يمارسون على حدودها بعض أعمال الارهاب ويقومون ببعض الخطوات الاستفزازية ليتذرعوا بها إلى دخول المدينة ، كأن يحدثوا جلبة شديدة حول المدينة أو يسقطوا بعض النواحي من أسوارها « يشوع » ٦ ، ٤ ، ٥ » .

ولا تخلو واقعة في التاريخ اليهودي من مكان بارز للاسطورة ، والاسطورة في هذه الواقعة شخصية خرافية اسماها الكتاب المقدس « رئيس جند الرب » الذي رآه يشوع على هيئة جندي شاكي السلاح فاستغرب ملامحه وعرف أنه ليس من جنوده وخشي أن يكون جاسوسا جاء يستطلع جيشه فتقدم منه وسأله « هل أنت لنا أو لأعدائنا ؟ » .

قال الجندي المجهول « أنا رئيس جند الرب « يشوع ٥ » : ١٤:١٣ » وهنا سجد يشوع لرئيس جند الرب الذي تقول الأسطورة أنه ظل يداوم الاتصال بيشوع حاملا إليه التعليمات الربانية بغزو أريحا واغتصاب أراضيها وإبادة أهلها والحلول محلهم ، وأنه هو الذي رسم ليشوع كيفية الحصار ووضع له خطة الغزو « يشوع ٦ : ١ وما بعدها .

وهدمت العصابة سور المدينة ، ودخلتها ، ولكن حرص الرواية المقدسة على الصياغة الأسطورية للتاريخ جعل سور المدينة ينهدم من مجرد تعرضه للاشعة المتلفة المنبعثة من التابوت وبداخله (رب الجنود) ومن تعرضه لهتاف الجيش الاسرائيلي « يشوع » ٢:٦ وما بعدها ، وقد حاول قصاص التوارة جاهدا أن يجعل هذه الحرب حربا مقدسة إلى درجة أنه أشرك فيها « رب اسرائيل » ليس فقط بوعده أو بتوجيهه وتأييده ولكن بارساله رئيس جنده بل وبحضوره الحرب شخصيا يدخل التابوت ويسخر نفسه وهو بداخله كآلة حربية تحملها عصابة يشوع وتستخدمها عند اللزوم ، وحاول جاهدا أن يداري على الأهداف الصهيونية من هذا الغزو ، ولكنه لم يستطـع أن ينقي روايته منها تماما وإنما أفلتت منه بعض الشواهد الدالة على الأهداف الصهيونية التي كانت وراء هذه الحرب ، من ذلك أن الرواية المقدسة تضمنت أن جنود يشوع طفقوا يسرقون المدينة وينهبونها رغم تحذير الرب وشهدت مرتين على أحدهم ـ هو عخان بن كرمى الزراحي (٧ : ١ ، ٧ : ٢١) شهادة لا تقبل الشك إذ سجلت فعلته ودونت محاكمته وعينت سرقته ومقدارها مئتا شاقل ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا ورداء شنعاني نفيس .

فظائع الصهيونية اذا قدرت

ولن نخوض كثيرا في محاولة إضفاء القدسية على هذه الحرب التي رأينا القصاص يشرك فيها رب اسرائيل ، إلا أننا سنقف لاستبيان الطبائع الصهيونية لرب اسرائيل الذي تتحدث عنه الراوية المقدسة ، فإن الرب الدموي لم يكتف باغتصاب الأرض ولكن أمر بقتل أهلها جميعا ، ولا يعقل أن تكون هذه المجزرة أمرا ربانيا وإنما هي خاصية « إبادة الجنس » التي يتبناها الخلق الصهيوني منذ زمن هذه الرواية ويطبقها الصهاينة كلما قدروا عليها ويطبقونها اليوم في فلسطين ، إذ أمر الرب عصابة يشوع بأن يبيدوا أهل المدينة ولا يغادروا منهم أحدا على قيد الحياة ، ففعلوا ، وبنص الرواية المقدسة . « حرموا ـ أي قتلوا ـ كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ـ ياللفظاعة ـ حتى الغنم والبقر والحمير بحد السيف « يشوع ٦ : ٢١ » ، ثم إن الرب لم يكتف بهذه المجزرة وإنما شارك في العمل على إخفاء الجريمة البشعة فزادها بشاعة إذ أمر ـ كالرواية ـ بحرق المدينة تماما حتى تكون عملية « إبادة الجنس » قد تمت عن

آخرها فلا يبقى من جنس أهل المدينة حي ولا ميت ، وبالفعل ، تقدم جيش يشوع « واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها « يشوع »٦:٢٤ » ، ولكن كان متوقعا ان يستثنى الصهاينة أموال المدينة ومتاعها من الحرق وأن يستولوا عليها : « إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب « يشوع »٦:٢٤ » .

الزانية تنجو من القتل :

اهل بيت واحد فقط نجوا من الذبح ومن الحرق ، بيت زانية في أريحا كان اسمها (راحاب) ، امر يشوع عصابته بألا يتعرضوا لها ولا لأهل بيتها وأن ينجوهم من المذبحة ومن المحرقة ، وكان لهذه الزانية قصة ودور في غزو أريحا ، ويبدو أن يشوع كان على صلة بها من قبل وكان يعرف بيتها ويعرف أنها زانية وخائنة لمدينتها فأرسل جواسيسه يتصلون بها لتدلهم على مكامن المدينة وأسرارها وليقيموا عندها ويستطلعوا اخبار المدينة ، واتصل بها جاسوسان من جند يشوع فاقسمت لهما وأحلتهما عندها ، وعندما علم ملك المدينة بأن في المدينة جواسيس أرسل جنوده يعسون ، فسأل جنود المدينة كل بيت فيها عن رجلين غريبين يحتمل أن يكون أحد قد رآهما فلما سألوا (راحاب) ضللتهم وسيرتهم في اتجاهات شتى وخبأت الجاسوسين في مكمن في بيتها ـ يشوع : الأصحاح الثاني كله ـ وبعد انتهاء الحرب أنجاها يشوع وكرمها وأحلها بين شعب اسرائيل ، وعندما أمر بقتل المدينة وحرقها تضمن أمره بالحرف الواحد ان « راحاب الزانية فقط تحيا ـ يشوع ٦ : ١٧ » .

ومن أريحا تقدمت العصابة القوية نحو مدينة أخرى اسمها « عاي » ، وطفق الرب ـ كعادته ـ يبذل ليشوع وعده باغتصاب أرضها وإبادة أهلها ويؤكد على طبائع الغصب والابادة في أصول هذه العقيدة الصهيونية ، غير أن الوعد في هذه المرة تضمن طبعا آخر من أصول هذه العقيدة وهو استلاب أموال الغير وإباحة انتهابها ، في أريحا تضمن الوعد الابادة واغتصاب الأرض فقط دون النهب ولكن النهب في أريحا تضمنه الفعل كما شرحنا ، أما هنا فقد كانت نية الانتهاب مبينة من مرحلة تلفيق الوعد إذ جاء فيه أن « غنيمتها وبهائمها تنتهبوها لأنفسكم « يشوع »٨:٢ » فلما جاءت مرحلة الفعل وانتهبوا المدينة فعلا أوحت الرواية بأن جند إسرائيل لم ينتهبوا ما انتهبوه إلا حسب قول الرب ـ يشوع ٨ : ٢٧ » .

وقبل اقتحام المدينة نصبت العصابة كمائن متعددة حولها وكانت الخطة « الربانية » أن يشعلوا النار فيها فيهرب أهلها فتلتقطهم هذه الكمائن وتوسعهم التنكيل والقتل ، وقد كان ، وأضرمت النار في المدينة ـ يشوع ٨ :١٩ . وأتت على كل بيت وزرع وموطن مسكون ، وبالجملة ، « أحرق يشوع على عاي وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم ـ يشوع ٨ : ٢٨ » ، ولعل مطالعة هذه الشهادة التوراتية تكفي وحدها للوقوف على مدى الفظاعة التي تعرضت لها المدينة إلا أن أهل المدينة ـ وقد هرعوا إلى خارجها هربا من فزع الحريق ـ وقعوا في كمائن العصابة الغازية فقتلوهم عن آخرهم ، والرواية المقدسة ذاتها شاهدة على بشاعة الجرم الذي ارتكبته إسرائيل في حق أهل المدينة إذ تقول أن الاسرائيليين قتلوا « جميع سكان عاي في البرية حيث لحقوهم ، وتقول « ضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ـ يشوع ٨ : ٢٢ » .

تقول وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا » ، أما من بقي بالمدينة من سكانها ـ وهم بالطبع الشيوخ والأطفال والعجزة الذين ضعفوا عن الهرب واستسلموا لمصيرهم ـ فإن النص المقدس يقول إن الاسرائيليين عادوا فاقتحموا عليهم المدينة وضربوهم حتى أفنوهم ـ يشوع ٨ : ٢٤ » ثم أحصى السفر القديم عدد القتلى فقال « اثنا عشر ألفا جميع سكان عاي ـ يشوع ٨ : ٢٥ » . وذلك ما كان من أمر المدينة المنكوبة ، أما ملكها البائس فإنه عندما فوجيء بالحريق وبالهجوم

جمع رجاله وخرج لملاقاة العصابة فوقع في الكمين ـ يشوع ٨ : ٢٤ ـ فقبض عليه فساقوه أسيرا وقدموه إلى يشوع الذي أعد له سلاسل وأغلالا وأمر بصلبه فصلب إلى المساء وأنزل عند غروب الشمس جثة هامدة . يشوع ٨ : ٢٩ » .

البقاع الأخرى

بعد ان سمعت البقاع الأخرى في المنطقة بالذي وقع في « أريحا » وفي « عاي » حاولت التكتل للوقوف في وجه هذه العصابة الخطيرة ، وبالفعل تجمع ملوك هذه البقاع ـ الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحوويون واليبوسيون ـ وتعاهدوا في نظام ما من الوحدة القديمة جمعهم إلى كافة ملوك البقاع إلى « كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان ـ يشوع ٩ : ١ » ، وتكتل الجميع فيما يشبه معاهدة الدفاع المشترك .

معاهدة الصلح

وقد كان هذا التحالف للدفاع المشترك كفيلا بأن يجمع قوى الدويلات الصغيرة في هذه المنطقة ويمكنها من مقاومة الغزو الاجرامي ، لولا أن دويلة في المنطقة اشترت سلامتها وعقدت « معاهدة صلح » مع اسرائيل منفردة بهذا الصلح عن جاراتها كافة وشريكاتها في الدفاع ، وقد جاء هذا العمل الفردي القديم من حكومة « جبعون » التي اتصل حكامها بملوك إسرائيل وسالموهم وعاهدوهم ـ يشوع ٩ : ٣ ـ ٦ ، وكان طبيعيا أن تحدث هذه المعاهدة خللا ملحوظا في (الدفاع المشترك) الذي أقامته دول المنطقة فيما بينها وأن يكون لها تأثير سلبي خطير في قوى المواجهة فأدى هذا إلى تدهور العلاقات بين (جبعون) وجاراتها إلا عدوتهم جميعا التي ظلت تعمل على تقوية صلاتها بجدعون » وعلى استدراجها حتى أخرجتها تماما عن صف المواجهة ، وإزاء تدهور العلاقات بين (جبعون) وجاراتها تمادت الدولة الخارجية على أمتها وعقدت مع إسرائيل معاهدة تحالف مشترك ضد بني أبيها وتمادت في أعمال الاذاية لهم والنكاية فيهم ـ يشوع : ١٠ كله .

فأحدث هذا الخلل ضعفا كبيرا في قدرة المنطقة على إحتمال الهجوم ، وتمكنت إسرائيل من دول المنطقة واحدة فواحدة تهاجمها وتذبح أهلها وتحرقها وتضمها ، ..« مقيدة » فعلوا بها كما فعلوا بأريحا « قتلها ولم يبق شاردا ـ يشوع ١ :٢٨ » .. (لنبة) .. « ضربها بحد السيف كل نفس بها لم يبق شاردا يشوع ١٠ :٢٩ ، ٠٠ (الخبيش) ..« ضربها بحد السيف حتى لم يبق شاردا ـ يشوع ١٠ : ٣٠ » . ..جازر) ..« ضرب ملكها مع شعبه حتى لم يبق شاردا ـ يشوع ١٠ : ٣٣ » ..

وعلى نفس المنوال كشفت الرواية المقدسة عن فظائع إسرائيل في البقاع الأخرى ..(عجلون) ..(حبرون) .. (دبير) .. كل ذلك هاجمه جيش إسرائيل وقتل شعبه وأحرق مساكنه واغتصب أرضه ، وبالجملة لم تنج بقعة من المنطقة من فظائع إسرائيل .. « كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شاردا بل حرم ـ أي قتل ـ كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش إلى برنيع إلى غزة وجميع الأرض ، إلى جبعون واخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة ـ يشوع ١٠ ـ ٤٠ » .

موقع الرب من العقيدة الصهيونية :

ومن الهام أن نعرف أن الرواية المقدسة عندما استعرضت هذه الفظائع تعتبر قد شهدت على تأصل الطبائع الخبيثة ـ القتل والحرق والابادة والغصب والنهب ـ في العقيدة الصهيونية ،

وبنيت موقع « الرب » من هذه العقيدة وهو موقع الآمر بهذه الفظائع والمساعد عليها والآله الحربية التي تسكن التابوت ليحملها جنود اسرائيل وهم سائرون في الحرب كأنه برج من أبراج الحرب أو ترس من تروسها ، وإذ أعادت الرواية كل فظائع إسرائيل إلى أوامر الرب فإنها تقول « كما أمر الرب موسى عبده ... هكذا أمر موسى يشوع .. وهكذا فعل يشوع - يشوع ١١ : ١٥ » .

ولكن المهم جدا أن الرواية نفسها ردت منذ الزمن القديم قول من قال إن الحرب ستهدأ إذا عاشت إسرائيل في (حدود آمنة) . وشهدت بأن إسرائيل لن تكف عن الحرب مادامت فيها قوة - حتى تبتلع المنطقة كلها ، وهي في الزمن القديم لم تتوقف عن الحرب حتى ابتلعت المنطقة كلها فعلا ، تقول الرواية - وأقول لمن يعتبر - : « فأخذ يشوع الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم » وهنا فقط ... ، استراحت الأرض من الحرب - يشوع ١١ : ٢٣ » ، إلا أن قصاص التوراة كان - كما سنرى - يأسف بشدة لأن الأرض استراحت من الحرب عندما تقدم السفاح في السن وضعف عن قيادة العصابة وما تزال في الدنيا أرض نافعة متاحة للاغتصاب .

العاقل من يعتبر :

قلنا أن جميع بقاع المنطقة سقطت غصائب اسرائيل وقتلاها وحرقها ، ونقول - والسعيد من وعظ بغيره - : إن بقعة واحدة ظنت أنها ناجية من إجرام إسرائيل ، (جعبون) التي تصالحت معها كان ظنها أن معاهدتها ستحميها وأن إسرائيل كانت تنوي صلحها فعلا وأنها ناجية إلى مالا نهاية ، ولكن إسرائيل لم تلبث أن كشفت عن النوايا التي بيتتها وقت إبرام هذه المعاهدة والتي لم تكن إلا لتسكين من استطاعت تسكينه (من دول المنطقة) ثم تستدير إليها بعد أن تبتلع الآخرين ، وبالفعل لم تكد إسرائيل تتفرغ من بقية البقاع حتى استدارت إلى « جبعون » - التي حالفتها وانشقت على أخواتها - فضمتها واستعبدت أهلها وضربت عليهم ألوانا من السخرة ، واضطرت (جبعون) - إلى أن تقنع بحياة العبيد تحت سيادة إسرائيل ، ثم تحركت في إسرائيل شهية قتل وإبادة من يقع تحت سلطانها فأخذ شعب اسرائيل يضغط على قادته ليقتلوا شعب (جبعون) - يشوع ٩ : ١٧١ ولكن القادة فضلوا أن يبقوا عليهم ليستخدموهم ، وبالفعل استعبدوهم واستذلوهم وأقاموا يستعبدون رجالهم ويزنون بنسائهم وبناتهم وسلبوهم أحقيتهم في وطنهم وسلبوهم أراضيهم وأموالهم ووضعوهم في منزلة دانية تشبه الحضيض الذي كانوا هم فيه في أواخر أيامهم بمصر وانتهى أمر هذه الدولة - الحليفة الوحيدة لاسرائيل - إلى ألا يكون شعبها في وطنهم مواطنين ولو حتى درجة ثانية - ولا ثالثة - ولكن عبيدا تحت أقدام الاسرائيليين « محتطبي حطب ومستسقي ماء - يشوع ٩ :٢١، ٢٧ » .

مدار السيرة بين موسى والسفاح :

شرحنا في مقالات سابقة بهذه المجلة أن السفر القديم أدار سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين واغتصابها وإبادة أهلها تلك الخاصية الصهيونية التي أقحمها السفر إقحاما في حياة موسى حتى أن السفر جعل منه زعيما من زعماء الصهيونية المعروفين لا نبيا من أنبياء الله المرسلين ، ولكن مؤلف السفر اصطدم بحقيقة لا حيلة له فيها وهي أنه لم يتحقق على يد موسى هدف واحد من أهداف الصهيونية ، وذلك ببساطة لأنه لم يكن صهيونيا يعمل لخراب الدنيا وإنما كان نبيا رسولا يدعو إلى إصلاحها ، وهذا ما لم يعجب كتاب العهد القديم الذين لم يعودوا يعنون كثيرا بموسى ، ولم يهتموا بتحقيق سيرته جيدا بل أنهم بعد وفاته نفضوا أيديهم

منه ومن توراته ولم يسجلوا لأجيالهم عنها شيئا يذكر .

أما يشوع فلأنه كان بالفعل قائدا صهيونيا حقق لبني إسرائيل كثيرا من أهدافهم التوسعية ورأى مؤلفو التوراة خصائص الصهيونية وهي تتجسد فيه فقد عنوا به كثيرا وأولوه اهتماما أكثر مما أولوا لموسى إذ بينما لم يبين السفر شيئا عن موسى بعد وفاته ولا حتى موضع قبره من ارض مؤاب تجد موتة يشوع مسجلة تسجيلا جيدا موضحا به مقدار عمره حين قضى نحبه « مائة وعشر سنين » يشوع ٢٤ : ٢٩ » وموضع قبره بتحديد دقيق « في تخم ملكه في ثمنة سارح » التي في جبل إفريم شمالي جبل جاعش ـ يشوع ٢٤ : ٣٠ » ، صحيح أن مؤلف التوراة وقع في شيء من اللبس في اسم هذا الموضع ـ لامكانه ـ إذ سماها في إصحاح آخر « ثمنة حارس » . قضاه ٢ : ٨ : ٩ » إلا أن هذا التحديد لم يرق إليه وصف السفر لموت موسى إذ قال ـ بالكاد ـ إنه مات في أرض مؤاب ـ التثنية ٣٤ ـ ٥ .

وبينما رحيل موسى لم يحظ بكثير من أسف التوراة إذ في نهاية سفر التثنية ترى قصاص التوراة يودع سيرة موسى وداعا فاترا ويستعجل تشطيبها ويتعجل استقبال سيرة يشوع ويفرح باستقبالها قبل أن ينتهي من سيرة موسى . تجد في نهاية سفر يشوع القصاص يأسف لاقتراب أجله وما تزال في الدنيا أرض متاحة للاغتصاب شاخ يشوع وتقدم في الأيام فقال له الرب أنت قد شخت وتقدمت في الأيام وقد بقيت هذه الأرض الباقية كل دائرة فلسطين وكل الحشوريين من الشيحور الذي هو أما م مصر إلى تخم غفرون شمالا ـ يشوع ١٣ ـ ١ ـ٤ » وهكذا لم يخف قصاص التوراة أسفه على رحيل الغاصب الكبير الذي ربما توقع ألا يصادف بنو إسرائيل مثله من يقودهم إلى ممارسة خصائصهم الكبرى .. الغصب .. والابادة .. والاحتلال .

فظائع اخرى بعد يشوع

وبعد وفاة يشوع لم يعدم المؤلف الصهيوني زعيما يرثه في قيادة العصابة وإنما وجد يهوذا يملأ كرسي يشوع فضمن استمرار العمل الوحشي وأسند إليه الوعد والمهمة ـ قضاة ـ ١ : ١ ، ٢ ـ فكان مما فعل يهوذا وكانت الجولة ما تزال لاسرائيل وكانت ماتزال صاحبة القوة الضاربة في المنطقة وصاحبة الغلبة ـ إنه قتل من الكنعانيين عشرة آلاف في « بازق » وقبض على ملكهم ومثل به إذ قطع أصابعه الابهام واستعبده قضاة ١ : ١ ـ ٥ ، وجعل القتل في أهل أورشليم وأضرم فيها النار (قضاة ١ : ٨) ، وانعطف خرابه على القرى الوادعة في الجبل والجنوب والسهل ،قرى حبرون واشيشاي وأخيمان وتلماي ودبير قضاة ١ ٩ ـ ١٢ ـ تعداها إلى غزة واشقلون وعفزون قضاة ١ : ٨ ـ وقرية آمنة اسمها (لوزا) استغل أحد أبنائها وكان ضعيف النفس فذلهم على عورتها وأعطوه أمانا له ولأهله ـ قضاة ١ : ٢٤ ـ

مقارنة وعبرة

والذي كان يجب أن يفهمه الاسرائيليون ويقدروه جيدا هو أنهم كانوا إذا ضعفوا وتملكت عليهم الدول اعاشتهم في أكنافها وحافظت على آدميتهم ولم تهدر ما كان حقا شرعيا لهم ـ وقد حدث غير مرة أنهم دالت أيامهم بعد قوة وانهزموا بعد غلبة فلم يجدوا وحشية ولا انتقاما من أهل المدائن ، وقد شهدت الرواية المقدسة بأنهم عندما زالت قوتهم وارتفع عليهم أهل الأرض « أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيرونيين والحويين ـ قضاة ٣ : ٢ » . وكذلك عندما هزمهم « عجلون » ملك المؤابيين وتسيد عليهم ـ قضاة ٣ : ١٢ ـ لم يلقوا من فاتحيهم معاملة سيئة ولا عدوانا ولا أنزلوا منزلة مهينة ولم يخسروهم شيئا اللهم أنهم عاشوا حياة عادية بين المواطنين بغير رئاسة ولا تسلط دموي .



أختي المسلمة : بحكم مسئوليتك الجسيمة في الاسلام كأم يقع عليك العبء الأكبر في إعداد الاجيال الصالحة وانت تؤسسين اللبنة الاولى في حياة الصغير وتغرسين فيه بعض المبادىء والقيم بحكم أنك أول كائن يتفاعل معه الطفل ذلك لأن الأم حجر الزاوية في تكوين العلاقات الانسانية بين الطفل والمجتمع من حوله وهي التي تعلمه أول درس في الأخلاق .

ولهذا كان عليك ان تحرصي أشد الحرص في تنقية مايكتسبه الطفل من عادات وتقاليد وأول ماينبغي أن تغرسيه في طفلك عادة الصدق عملا بقوله تعالى - (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) التوبة/ ١١٩ وأن تجنبيه الكذب لأنه أقبح الظواهر في نظر الاسلام مصداقا لما ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله

صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ومازال العبد يكذب حتى يكتب عندالله كذابا) رواه الشيخان وغيرهما ... (والكذب هو توفير النية للتضليل) ، وعدم مطابقة القول للواقع ، وهو بذلك عكس الصدق الذي هو توفير النية لمطابقة القول للواقع مطابقة تامة ، والأمانة في القول وفي غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية بحيث يولد الفرد مزودا بها بل هي صفة تتكون في الفرد عن طريق التقليد والتمرين وغير ذلك من طرق التعلم المختلفة ، والكذب لدى الطفل ماهو الا عرض ظاهري ، لذلك ينبغي معرفة العوامل والدوافع النفسية والقوى التي تؤدي الى ظهور هذا العرض ، ومن المشكلات التي تتصل بالخوف اتصالا وثيقا مشكلة الكذب ، ويرى البعض ان الكذب الحقيقي عند الاطفال لاينشأ إلا عن خوف والغرض الاساسي منه حماية النفس ، ويرجع الاهتمام بهذا الموضوع الى ان الكذب يستغل عادة لتغطية الذنوب وقد وجد الباحثون في جرائم الأحداث أن من اتصف بالكذب يتصف عادة بالسرقة والغش وهذه الخصال الثلاث تشترك في صفة واحدة وهي عدم الأمانة .

موقف الآباء من الكذب :

ينصب الآباء على الأبناء بالتقريع ، والإذلال ، والتشهير والضرب اعتقادا منهم انهم بذلك يصلحون أبناءهم ، ويقطعون دابر الكذب ولكن اغرب من هذا ان تأتي هذه المعاملة بعكس مايتوقع منها من نتائج فيصر الاطفال عادة على صحة كلامهم ويتفننون في إخفاء الحقائق وتزييفها .

أنواع الكذب :

كذب خيالي حيث يتحدث الطفل عن أشياء من مخيلته ، وينبغي الا نحكم على الطفل في هذه الحالة أنه كاذب ، لان ذلك يشبه خيال الشاعر والأديب ، ويعتبر هذا نوعا من أنواع اللعب يتسلى به الطفل ، وعند كشف هذه القوة الخيالية الرائعة يحسن توجيهها والاستفادة منها .

الكذب الالتباسي :

ويرجع الى قدرة الطفل على التمييز بين مايراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحا في مخيلته ، فكثيرا ما يسمع الطفل حكاية خرافية او قصة واقعية وسرعان ماتملك عليه مشاعره وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها كأنها وقعت له بالفعل ، وهذا النوع يزول من تلقاء نفسه عندما يكبر الطفل ويستطيع ان يميز بين الواقع والخيال وليس لهذين النوعين خطورة ولكن ينبغي ان توجه بعض الارشادات للطفل .

الكذب الادعائي

كأن يدعي الطفل المرض ليجذب اليه الانتباه وليحصل على قسط اكبر من العطف والرعاية ، ويحدث ذلك في

الاسرة التي لم يشعر فيها الطفل بالحنان او نتيجة لقدوم مولود جديد للاسرة ويخشى الطفل ان ينتزع منه الوافد الجديد اهتمام الآباء كما قد يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة ويتحدث عما عنده في المنزل من لعب وملابس جميلة والواقع انه ليس عنده منها شيء ولكنه يريد ان يحدث لذة ونشوة عند سامعيه ، وليجعل نفسه مركز إعجاب وتعظيم ، وتحقق كل من هـذين الغرضـين يشبـع النـزوع للسيطرة فهذا الكذب الموجه عادة لتعظيم الذات وجعلها مركز الانتباه والاعجاب ينشأ عادة عن شعور الطفل بنقص في مثل هذه الحالة يحسن ان نكشف النواحي الطيبة في الطفـل ونوجهها لتنبت نباتا حسنا وبذلك نساعد الطفل على ان يعيش في عالم الواقع بدلا من ان يعيش في عالم خيالي وبذلك ترتد ثقته ويزول عنه احساسه بنقصه ، وينبغي الاسراع الى علاجه في الصغر وإلانما عند الطفل .

الكذب الغرضي والأناني :
حيث يكذب الطفل لتحقيق غرض شخصي فقد يذهب الطفل الى أبيه ويطلب منه نقودا مدعيا أن والدته أرسلته لشراء بعض المطالب والواقع انه يريدها لنفسه .

الكذب الانتقامي :

قد يكذب الاطفال ليتهموا غيرهم باتهامات يترتب عليها عقوبتهم او سوء سمعتهم ويحدث ذلك عند الطفل الذي يعيش في مناخ لايشعر فيه بالمساواة في المعاملة بينه وبين غيره وينبغي ان يكون الآباء والمعلمون في منتهى الحرص إزاء هذا النوع من الاتهامات إذ إنها تكون في كثير من الأحيان على غير أساس كاف من الحقيقة .

الكذب الدفاعي والوقائي :
وهو اكثر انواع الكذب شيوعا حيث يكذب الطفل خوفا مما يقع عليه من عقوبة كأن يدعي المرض في حالة تقصيره في عمل الواجب المدرسي وقد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز معين

كذب التقليد :
وكثيرا ما يكذب الطفل تقليـدا لوالديه ولمن حوله اذ يلاحظ في بعض الحالات ان الوالدين نفسهما يكذب الواحد منهما على الآخر وقد تكذب الأم فتقول للطفل إنها تأخذه للنزهة ثم تأخذه ليأخذ حقنة .

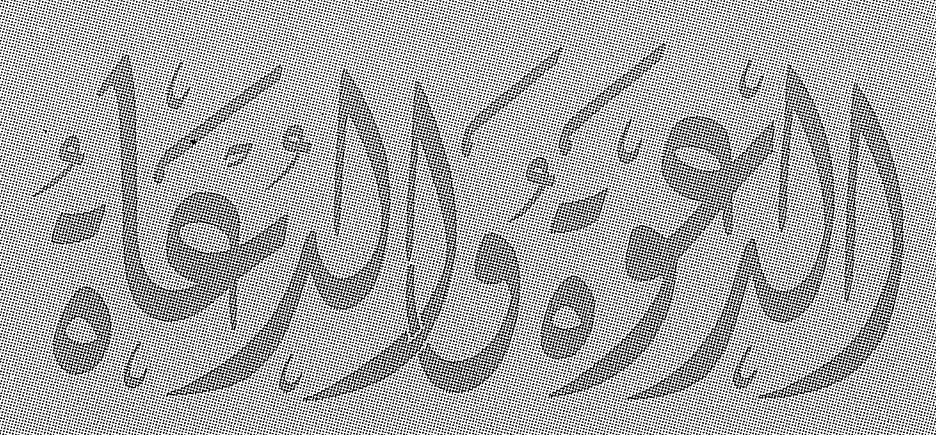
الكذب العنادي:
وأحيانا يكذب الطفل لمجرد السرور من تحدى السلطة خصوصا اذا كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة الحنو .

الكذب المرضي المزمن:
قـد يصل الكـذب أحيانـا عند الشخص الى حد أنه يكثر منه ويصدر عنه على الرغم من ارادته كأن يدعي طفل ان والده توفى وكأن يكذب بعض الاطفال في المؤسسات الاجتمـاعية ويطلب الخروج لحدوث مكروه لأحد

اقاربه وبعد ذلك يتضح انه لم يحدث شيء . وقد تتداخل عدة اسباب في احداث الكذب .

الوقاية والعلاج :

ينبغي فهم الهدف الذي يحققه الكذب والعمل على علاج الحالة من أساسها لأن الكذب عرض كما ينبغي معرفة هل حدث الكذب من الطفل مرة واحدة فلا نوليها اهتماما اما اذا كان متكررا فنبحث عن نوع هذا الكذب مع عدم علاج الكذب بالضرب او بالانتهار والسخرية او التشهير لان ذلك يفقد الطفل الثقة بنفسه ، كما ان العقوبة الصارمة تدفع الى الكذب وانما يكون بعلاج الدوافع الاساسية التي دفعت اليه ، وينبغي تجنب الظروف التي تشجع على الكذب فلا نطلب واجبا من الطفل اكثر من طاقته حتى لا يكذب ويستعين بشخص آخر في انجازه ثم يقول انه من عمله ، كما ان كثيرا من المدرسين يعرضون في معرض المدرسة بعض الأعمال وينسبونها للتلاميذ مما يرسخ عندهم عادة الكذب كما قد تلجأ بعض الأمهات الى الكذب على الاطفال بحجة إسكاتهم من بكاء أو ترغيبهم في أمر أو تخفيف ما عندهم من غضب الا أنهن بذلك يكن قد عودوا الاطفال عن طريق المحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات وأرذل الاخلاق فضلا عن انهم يفقدون الثقة بـاقوالهن ويضعف جانب التأثير بنصائحهن ومواعظهن لأن فاقد الشيء لا يعطيه كما لا يصح ان نعطي الكاذب فرصة للإفلات بكذبه دون ان نكشفه لأن النجاح في الافلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى كما ينبغي عدم إيقاع عقوبة بالطفل بعد اعترافه بذنبه فالاعتراف له قدسيته وله حرمته ومن شأن إيقاع العقوبة على الطفل ان يقلل من قيمة الصدق ومكانته في نظره كما أن الطفل الذي يعترف بذنبه يمكن إصلاحه ويجب أن نقيم صداقات مع الطفل لانه لايكذب مـع من تربطـه بهم صداقات وإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الصدق قـولا وعملا ويفي أفرادها دائما بوعودهم فطبيعي جدا أن ينشأ أمينا في كل أقواله وأفعاله وهذا إذا توفرت له أيضا عوامل تحقيق حاجاته النفسية من اطمئنان وحرية وتقدير وعطف وشعور بالنجاح والطفل حينئذ لا يلجأ الى التعويض بانواع من الكذب كما يجب ان تتسم معـاملة الطفـل بالاتـزان وتقـديم الارشاد والتوجيه ومساندة الطفل نفسيا والعمل على تكوين القيم الدينية التي تحض على الصدق والاخلاص والامانة وسرد بعض القصص عن الامـانة والصـدق وسيرة الـرسل والأنبياء علما بأن ظاهرة الكذب من الخصال الرذيلة فينبغي على المربين بوجه عام وعلى الامهات بوجه خاص أن يعيروها اهتمامهم وأن يولوها كل جهودهم ليقلع الأطفال عنها وينفروا منها ويتجنبوا مزالق الكذب ومواطن النفاق ويجب عليك أختي المسلمة أن تكوني صادقة وأمينة لما لذلك من أثر في تشكيل سلوك أبنائك،وفقنا الله الى رعاية أبناء امتنا العربية الفتية .



كتبه : فهمي عبدالعليم الإمام

وزير الأوقاف يقول :

○ الحرية سلاح ذو حدين ونريد استعمالها لمصلحة الدعوة

● العلماء هم ورثة الأنبياء .. والداعون إلى الله لهم مكانة سامية .. وبمقدار مكانتهم تكون مسئوليتهم أمام الله .. والناس .. فهم أولى الناس بخشية الله .. « **إنما يخشى الله من عبادة العلماء** » .

● ولما كان المسجد هو رمز الاسلام الخالد .. كان أول عمل للمسلمين عندما أعلنوا قيام دولتهم لأول مرة في تاريخ البشرية في المدينة المنورة .. « **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** » .

● وكان المسجد وما يزال ـ بحمد الله ـ منارة المسلمين .. ومن فوق مئذنته يتردد في أجواء الفضاء نداء المسلمين الخالد .. « الله أكبر الله أكبر » . وإليه يهرع المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة .. ليربطوا بين الحياة والآخرة .. ويصلحوا ما اعوج من سلوكهم « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » .

● في المسجد كانت تعقد ألوية الجهاد .. ويتحرك جنود الله حاملين رايات الهداية إلى الانسانية الضالة .. وكان المسجد يقوم بدور التربية الاجتماعية .. والاقتصادية .. والسياسية .. وغير ذلك .



● ثم مضى الزمن بالناس فاعتلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحسن القول .. والأدعياء .. وأصحاب الأهواء والبدع ، وتاجر بالدين أقوام .

● وطائفة أخرى من الدعاة مكبلة بقيود لا تستطيع معها أن تقول كلمة الحق ..

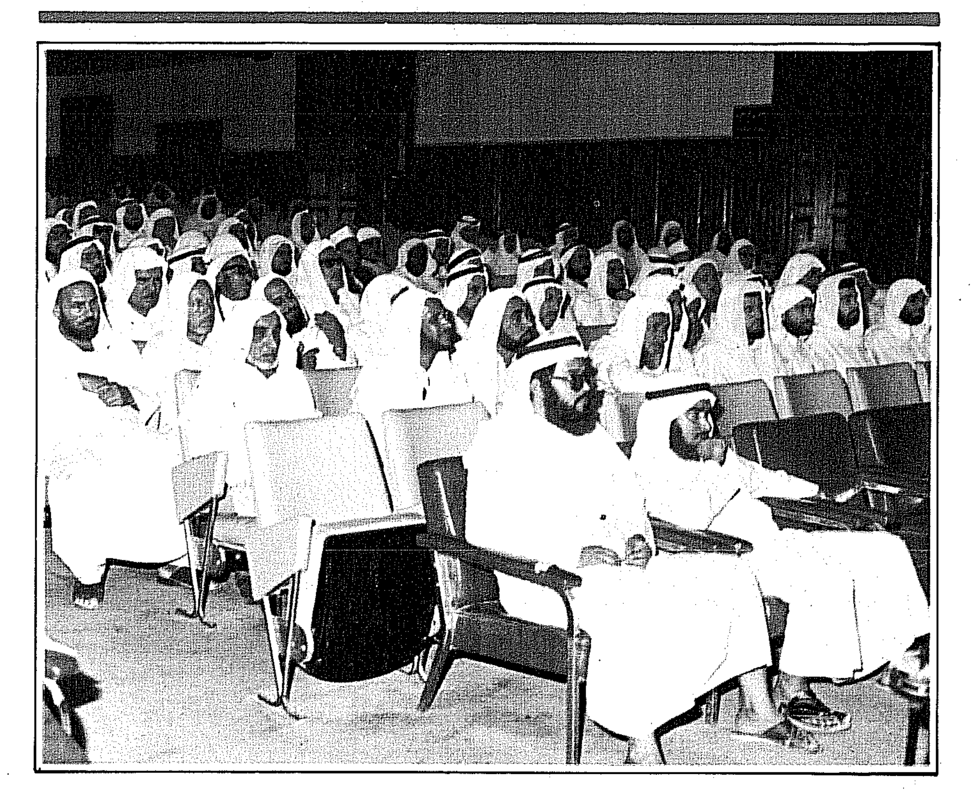
● وأخرى تنطق بأهواء الحاكم .. فتكون في واد .. والناس في واد آخر .. ويحاولون تضليل الناس

● وصنف من الدعاة يلجأ إلى الكلمة السيئة ، ويشهّر بالناس .. رغم أن الرسول أوصانا بالستر على المسلمين فمن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة .. والله سبحانه أمرنا أن ندعو الناس بالكلمة الطيبة « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » .

● هذا وإن التيارات الفكرية المعاصرة تمتد من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ـ كما يقال ـ فهل استعد الداعون إلى الله لمواجهة هذه التيارات بالطريقة التي تناسبها ؟

● حاول البعض أن يكرّس الانفصام النكد بين السياسة والدين ـ فما موقف الدعاة من ذلك ؟

● وكيف يواجه الخطيب جماهير المسلمين على اختلاف ثقافاتهم ؟.. وهل اختار الوقت المناسب ليقول الكلمة المناسبة ؟.



● ثم ما المشاكل والعقبات التي تواجه الامام والخطيب .. وكيف يتم التغلب عليها ؟

من أجل الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها .
دعا وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ/ احمد سعد الجاسر الى انعقاد مؤتمر تحت شعار « التعرف على صعاب ومتاعب الدعوة ومحاولة التغلب عليها » .
حضره السادة ضيوف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في رمضان .. وهم .. الشيخ احمد حنفي عبدالله القاضي مفتش الوعظ بالأزهر ، والشيخ صلاح أبو اسماعيل ، والدكتور إبراهيم زيد الكيلاني ، والدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس ، والدكتور يوسف حامد العالم . والعاملون في الوزارة من الأئمة والخطباء .. وكان الحوار مفتوحا .. وبصراحة تامة .. حيث يقف الإمام والخطيب فيعرض المشكلة .. ويتولى السادة الضيوف الإجابة عليها .
وكانت وقائع المؤتمر هكذا ..

● انعقد المؤتمر في كلية الحقوق ـ جامعة الكويت بالشويخ ـ في الساعة الحادية عشرة مساء يوم الثامن عشر من شهر رمضان ١٤٠٤هـ .

○ لا يجوز أن تكون بيوت الله مسارح للخصومات بغض النظر عن خطئها وصوابها

○ ليبقى المسجد مهوى قلوب الجميع

[لقاء مشاركة ومكاشفة]

افتتح السيد الوزير المؤتمر بحمد الله سبحانه .. والصلاة والسلام على نبيه محمد أفضل خلق الله .

ثم قال : أردنا أن نلتقي على العادة التي نلتقي عليها كل عام – في رمضان – مع ضيوف الوزارة .

لنتدارس همومنا المشتركة في مسئولية الدعوة إلى الله .. من خلال المهمة التي يقوم بها كل منكم ، في الامامة .. والدروس الدينية ، والوعظ ، والاتصال بالمواطنين والمقيمين ودراسة قضاياهم ، وحل مشاكلهم ، ومن خلال خطب الجمعة .

ثم قال سيادته : والغرض من اللقاء هو الحوار فيما بيننا ، حوار نستعرض فيه المشكلات التي تواجه الدعوة ، ونسمع من ضيوف الوزارة الحلول المقترحة ، بحكم خبرتهم في هذا الميدان .

فاللقاء إذن لقاء مشاركة ومكاشفة لا خطابة ، في حدود المهمة الأساسية للداعي .

أما الهموم الإدارية والتنظيمية ، فأعدكم بلقاءات أخرى لمناقشتها ومعالجتها فيما بعد .. ولذا ينبغي أن نركز الحديث حول القضايا العامة لنتوصل إلى الحلول التي تعيننا على أداء مهمتنا .

ثم قال وزير الأوقاف والشئون الإسلامية احمد سعد الجاسر – مخاطبا الأئمة والخطباء : فلنقتصر على إيراد الملاحظة ، وإبرازها ، ومحاولة حلها .

[الراتب]

ثم وقف أحد الخطباء فقال : إنه يفضل أن يكون العامل في مجال الدعوة متفرغا لها ، ثم طالب بكفايته البحث عن وسائل أخرى للرزق .. واشتكى من ضعف الراتب وأنه لا يكفي الإقامة والسكن .

○ اذا جاز للمسلمين أن يختلفوا في أي مكان فلا يجوز أن يختلفوا في المسجد

○ لا يستفزنا المرجفون لقول الكلمة المنحطة

[لم نحضر لهذا]

أجاب السيد الوزير : بأننا لم نحضر ونستضف هذه الشخصيات الإسلامية لمناقشة مثل هذه الأمور .

[كتاب الله]

كما طالب الإمام بأن يكون الداعية حافظا لكتاب الله تعالى ، وأن تعقد لقاءات بين الدعاة والمسئولين في الوزارة بصفة دورية ، وتطبع نشرات توزع على مساجد الكويت بصورة منتظمة ، تتضمن نظرة مستقبلية لمسار الدعوة إلى الله ، وتطرح حلولا لمشاكل المساجد مع المصلين . وأن تعمم الفتوى التي تصدر عن هيئة الافتاء بالوزارة على المساجد .
وأخيرا قال : إننا لا نجد من ينصف الداعية .. إذا احتاج الأمر لذلك .

[استقبال رمضان]

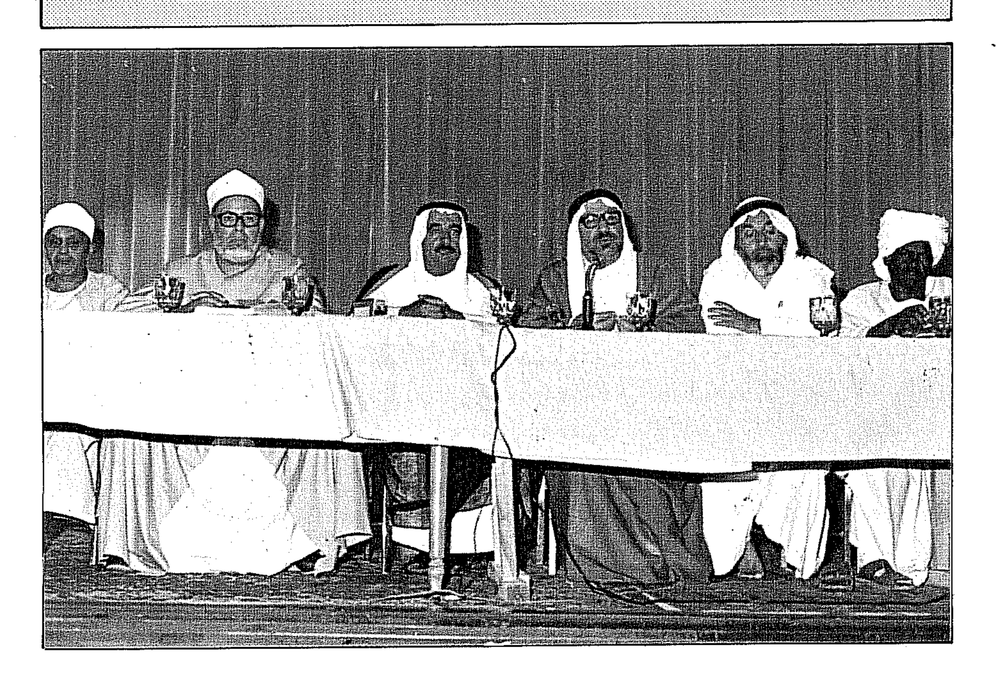
أما الشيخ احمد القطان ـ إمام وخطيب ـ فبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه الكريم ، قال : لقد استقبلنا الدعاة إلى الله في هذا الشهر الكريم لنتدارس العلم وما يصلح المسلمين بدلا من استقباله بالفنانين والفنانات . وطالب ضيوف الوزارة بتوجيه النصائح للإخوة الخطباء المتطوعين وغير المتطوعين .

[الجهاد بالكلمة]

ضيف الوزارة الشيخ/صلاح أبو اسماعيل .. قال معقبا : إن النصائح التي يمكن توجيهها في هذا الوقت الضيق وفي عصرنا التي اختلطت فيه التيارات

الشيخ : صلاح ابو اسماعيل

○ الحرية في الكويت لا مثيل لها في العالم



الفكرية وتصارعت :

أطالب الداعي إلى الله أن يلجأ إلى القول الحسن والكلمة الطيبة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وأن يقدر الداعي إلى الله المكانة التي هو فيها ، ويتذكر أنه يعتلي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

وأهم العناصر التي يجب توافرها في الداعي إلى الله : الاخلاص في القول والعمل ، والنية الصالحة ليكون بعيدا عن الرياء ولا بد أن يتسلح بالعلم والمعرفة ليتمكن من مخاطبة جميع المستويات ، وعلى الداعية أن يكون القدوة للآخرين في عمله ومسلكه وسيرته ، وأن يستخدم الكلمة المناسبة في الوقت المناسب . فالجهاد بالكلمة لا يقل عن الجهاد بالسيف .

كما أشار إلى أنه ينبغي للإمام والخطيب أن يراعي مستويات الناس المختلفة ، فالمسجد جامعة المسلمين الكل يهرع إليه ، عندما ينادي المؤذن للصلاة خمس مرات في اليوم والليلة .

الدكتور الكيلاني :

○ نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه

[حرية الكلمة]

ثم أشاد الشيخ صلاح أبو اسماعيل بحرية الكلمة في الكويت ، وأن الخطباء هنا يتمتعون بحرية مطلقة .

وقال : إن هذه الحرية لا مثيل لها في العالم . وضرب مثالا على كبت الحريات ما يحدث في مصر بلد الأزهر لرجال الدين . وأن هناك في مصر نصاً لا يجوز لأحد ولو كان من رجال الدين أن يقول قولا يعارض به قانوناً وإلا تعرض للسجن والغرامة التي تصل إلى ألف جنيه .

وفي الختام أشاد بالسيد وزير الأوقاف والشئون الإسلامية وبما يتمتع به خطباء المساجد من الحرية المطلقة في ظل رعايته .

[لغة القرآن]

ومما ركز عليه الذين يريدون النهوض بركب الدعاة : أن يعتني الدعاة إلى الله بلغة القرآن الكريم حرصا على سلامة المنطق ، وحفظاً للغة ، واجتذابا للمستمعين .

[الحديث الواعي]

لمواجهة المرجفين والذين في قلوبهم مرض ، والذين يذيعون الاضطراب والفوضى في صفوف الناس .

طالب الشيخ : بأن يكون حديث الداعي إلى الله حديث الإنسان الواعي الغيور على الدين ، الحريص على أمن مجتمعه ووطنه ، وأن يتصدى للقضايا المعاصرة بالتحليل والتعليق والحل .. وأن يكون المرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الله والرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

الدكتور يوسف العالم :

○ الاختلاف عند المثقفين يعتمد على الدليل أو الحجة

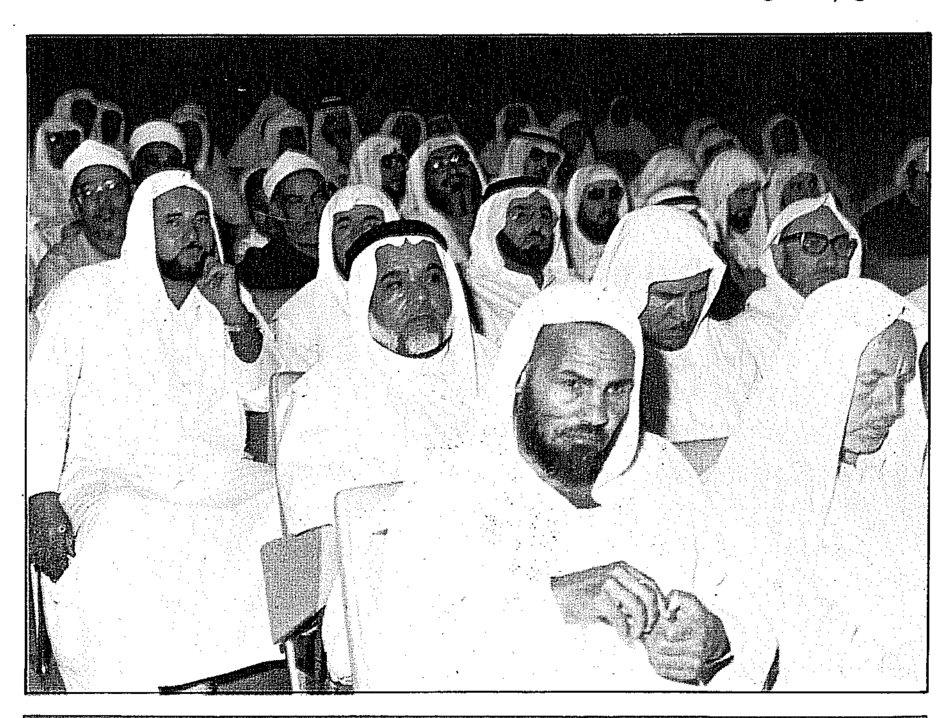
○ يجب تقدير الظرف ومستواه حتى يسمع إليك

[لجنة للردّ]

واقترح الشيخ/صلاح ابو اسماعيل أن تتشكل لجنة في وزارة الأوقاف تتعقب ما ينشر في الصحف مما يتناول الجماعات الدينية . وتتولى اللجنة الردّ عليها .

[الابتعاد عن الخلافات الجزئية]

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني : تناول طرف الحديث ، فأضاف إلى ما قاله الشيخ/صلاح أبو اسماعيل أن الداعية يتعرض لتيارات إسلامية فكرية



متصارعة ، وموقف الداعية منها : أيزيد الخرق اتساعاً أم يعمل على إزالة الخلاف ما أمكن ، ويتمسك بالأصول العامة للإسلام ؟!

فما دمنا نلتقي على الأصول والعقائد فإن الفروع والاختلاف فيها - لا ينبغي أن يفسد ما بيننا .

وحذر الدكتور الكيلاني ، كما حذّر الشيخ صلاح من تصارع المذاهب الإسلامية ، فإن التصارع يؤدي إلى التساقط والمستفيد من هذا الذين لا يريدون بالإسلام خيراً .

وضرب الدكتور الكيلاني مثلا باختلاف الصحابي الجليل أبي ذر مع الخليفة الراشدي ذي النورين عثمان حول الصلاة مع القصر أو الصلاة بدون قصر ، وأن أباذر - رضي الله عنه - قد اقتدى بعثمان رضي الله عنه في ذلك ، فلما سئل أبو ذر في هذا قال : إن الخلاف وتفرقة الصف أكبر من هذا .

كما أشار الدكتور الكيلاني إلى طبيعة المعركة العامة الآن ، وأنها تدور بين الإلحاد والكفر من جهة والإسلام من الجهة الأخرى ، وطالب بأن يتفرغ الدعاة لمواجهة هذه المعركة ، ومواجهة الانحلال الواقع في دنيا الناس ، والابتعاد عن الخلافات الجزئية .

[احتدم النقاش]

ثم احتدم النقاش عندما تحدث أحد الخطباء عن البدع المنتشرة في أوساط الناس ، وهل منها الاحتفال بالمولد النبوي ؟ وانكر الاحتفال به ، وقال : إن اول من احتفل به هم الرافضة ، وأن هذا لم يكن معروفا في القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام وعن هؤلاء الذين يتوسلون بفلان وفلان من الأموات .

ودار النقاش حول مفهوم البدعة ، وما هي ؟.. اما إذا مسّ الأمر العقيدة فإنه مرفوض قولاً واحدا . « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » .

أما إذا كان الاختلاف محتملا ولا يضرّ بأصل من أصول الإسلام فلا ينبغي أن نثير خصومة حوله ، ونبذل جهداً كان يمكن بذله في مجاله الصحيح .. فلماذا المعركة حول الاحتفال بالمولد النبوي والهدف .. والسكوت عن الفيديو ، ومجلة الشبكة ، والتلفزيون ، وما تبثه هذه الأجهزة من سموم ، ثم دعا إلى أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه . وقال : إن على الدعاة أن يعيشوا قضيتهم الكبرى ، ولا ينشغلوا بالجزئيات .

[عدم استعداء المدعو]

كما يرى الدكتور الكيلاني أن يحافظ الداعية على عدم استعداء المدعو ، وألا

يلجأ إلى الأسلوب الجارح والمسيء ، بل يعالج المشكلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يعمل على بناء الشخصية الإسلامية ، في ظل العقيدة الصحيحة ، وأن يقول ما ينفع قبل أن يقول ما يسر .

[لبس الإزار والقميص]

قال أحد الخطباء : إن المطبوعات والنشرات ، والفتوى التي تتعصب لرأي فقهي معين توزع في المساجد عقب أداء الصلوات ، وقد توزع دعايات انتخابية في المسجد ، ودعايات لحملات الحج .

وضرب مثلا : بالفتوى التي تقول بأنه لا يجوز إخراج صدقة الفطر في رمضان إلا طعاما ، وبالتالي لا يجوز إخراج القيمة ، في الوقت الذي تصدر فيه الفتوى من الوزارة بأنه يجوز إخراج القيمة ، وهذا يوقع الإمام في حرج مع المصلين . ومن المؤسف أن يبقى هذا الخلاف ويتسع في الوقت الذي تضرب فيه ناقلات النفط ، وتمر بمرحلة صعبة في هذه المنطقة ، ثم يأتينا من يدعو للبس الإزار والقميص .

[ضيق الأفق]

وعقب الشيخ صلاح حيث وصف الدعاة للبس الإزرار والقميص بضيق الأفق والغباء ، وأنهم لا يصلحون لقيادة الجماهير .

[دراسة ظاهرة]

طالب السيد الأستاذ/خالد الزير الوكيل المساعد بوزارة الأوقاف بدراسة ظاهرة ابتعاد الناس عن المساجد بعد رمضان ، ومحاولة ربطهم ببيوت الله في جميع الشهور السنة .

[صدق رسول الله]

وأجاب ضيوف الوزارة بأن هذه الظاهرة تستدعي الدراسة فعلا ، ولعل إقبال الناس على المساجد في رمضان راجع إلى أنه شهر تصفد فيه الشياطين .. مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

الدكتور أبو فارس :
○ جمع الناس على أمر فرعي متعذر أو مستحيل
○ المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا باللسان البذيء

المكتبة الاسلامية

وتحدث أحد الأئمة عن أهمية المكتبة الاسلامية للخطيب ، وإمدادها بالمراجع المناسبة ، وطالب وزارة الأوقاف بأن تزود الخطيب بمكتبة إسلامية مناسبة ، وبأسعار رمزية ، لتكون خاصة به ، يمكنه أن يرجع إليها في أي وقت يشاء .

نظرة مستقبلية

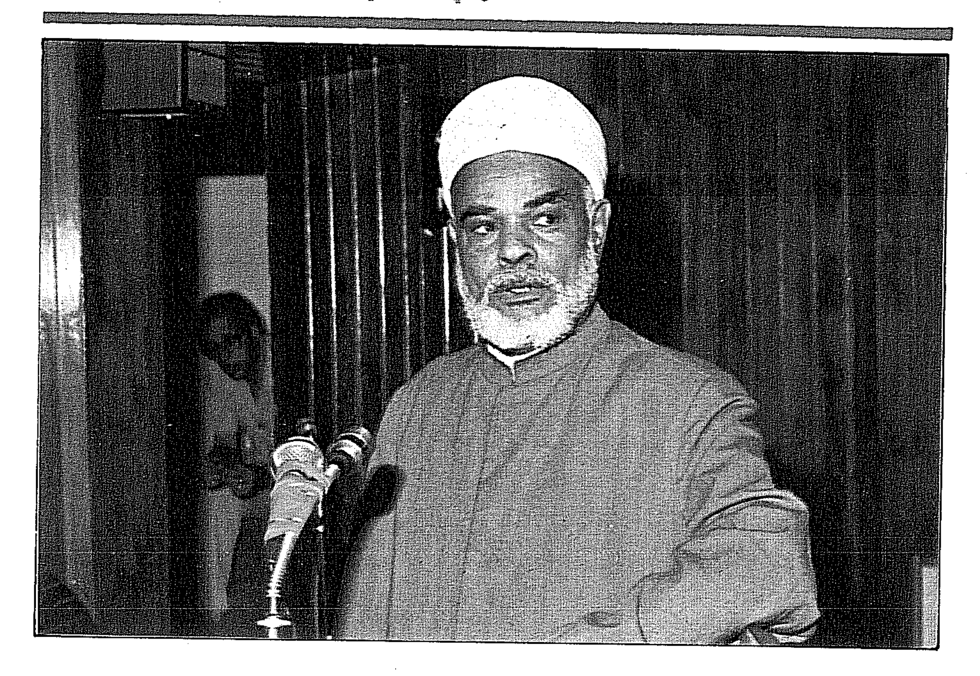
أحد الأئمة طالب بتشكيل لجنة تعيش مشاكل العصر ، وترسم خطة لمنهج طويل الأمد ، ينظر في الحالة الحاضرة وصولا لنظرة مستقبلية ، في الفكر ، والتصور ، لتضع للناس الخطوط الأساسية والعريضة للمسائل التي تدور في الأذهان ، بمعنى أن يسبق التصور الاسلامي عصره .

التجار المسلمون

أحد التجار المسلمين الذي يعيد إلينا سيرة السلف الصالح ، حيث يدعو إلى الله من خلال عمله ، طالب : بأن تقيم وزارة الأوقاف دورات شهرية مسائية ليتعلم التجار فقه الدعوة ـ في أماكن تواجدهم ـ ولتثقيفهم دينيا ، لينشروا دعوة الاسلام من خلال أعمالهم .

وعد الوزير

وعد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدراسة هذا الأمر مع المسؤولين في الوزارة والعاملين في مجال الدعوة خدمة للاسلام والمسلمين ، خاصة في البلاد غير الاسلامية ، والتي يذهب إليها التجار المسلمون من الكويتيين وغيرهم .



نحن أصحاب قضية

قال أحد الخطباء : إن هناك مشاكل عصرية لا يمكن للخطيب أن يخوض فيها ، فإذا سئل الخطيب : أين الجهاد ؟.. وإذا سئل عن السياسة الاسلامية الآن ؟ فماذا يقول ؟

قال الدكتور محمد عبد القادر مركزا حديثه في نقاط تجملها فيما يلي :

● نحن كشرقيين لا يتسع صدرنا للرأي المخالف .
● وجمع الناس على أمر فرعي متعذر أو مستحيل .
● وأنه على المفتي أن يتقي الله في فتواه ، وألا يسرف ، وأن يتأنى عند إصدار الفتوى .
● وأنه لا بد من نظر فقهي جديد لقضايا عصرية جديدة ، ولذا لا بد من تحديد الهدف ، والوسيلة وأن يلتزم الخطيب بوحدة الموضوع .
● وأن يتعرض الخطيب للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمنطق إسلامي ، بعيدا عن السباب واللعان والقول البذيء .
● وأن يهتم بقضايا الشباب . وألا نضيق بهم ذرعا .
● ونحن أصحاب قضية ، فلا بدَّ من بث روح الجهاد ، وبعث روح الأمل في النفوس .

تحضير الخطبة

وقال ضيف الوزارة : إن كثيرا من الخطباء لم يحضر كلمة واحدة ، فيكون كالقائد العسكري الذي يحضر المعركة بلا خطة ، وأنه ينبغي للخطيب أن يحضر خطبته كأنه يتحدث مع علماء .

انتقادات

● لم يخل المؤتمر من انتقادات وجهها بعض الحضور .. فأحدهم اعترض على عدم افتتاح اللقاء بتلاوة آيات من القرآن الكريم .

فرد الشيخ/ معوض عوض إبراهيم : بأننا لم نلتق إلا لخدمة القرآن والتناصح في الدين ، ثم تلا سورة العصر .

● وجه أحد الأئمة : انتقادات عنيفة لادارة المساجد وبعض العاملين فيها .. وعاب عليهم سوء معاملتهم له .. وتحدث مدير الادارة .. نافيا أن يكون هذا هو أسلوبه في معالجة المشاكل ، وكادت تحدث مشادة كلامية .

كلكم إخوة

وعقب ذلك ، قال وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ/ أحمد سعد الجاسر : إننا حريصون على كرامة العلماء والخطباء .. وأنه فوجىء بما يقال الآن .. وأكد على أخوة الجميع .. وأنه مستعد لاستقبالهم في مكتبه بالوزارة ، ووعد بدراسة الموضوع ، وسماع كلام الطرفين .

إزالة الخلاف

أحد الأئمة أشار إلى بعض الخلافات بين المدارس الاسلامية .. وطالب بالحل ..

فاقترح أحد ضيوف الوزارة .. تشكيل لجنة تقوم بتحديد نقاط الخلاف ، والكتابة إلى أصحاب المدارس الاسلامية .. ليتولى المسؤولون فيها الاجابة عليها .. ثم جمع الآراء وتسجيلها في كتاب .. وتقوم الوزارة بطبعه ونشره تعميما للفائدة .

ثم تحدث الدكتور/ يوسف حامد العالم ، فركز على توافر الاخلاص والنية الصادقة في القائم بمهام الدعوة . وأشاد بأن أئمة المساجد في الكويت كلهم أو



معظمهم خريجو جامعات .

وعن الاختلاف قال : إن الاختلاف يتركز في فكرة المندوب أو البدعة .. أو الاستحباب والبدعة .. وذلك عند العوام .. أما عند المثقفين فيعتمد الاختلاف على الدليل أو الحجة ، والدراسة المتأصلة لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة .

نصائح للخطباء

وقال الدكتور/ يوسف العالم :

يجب على الامام والخطيب أن يهتم بدراسة اللغة العربية ، فتسعة أعشار علوم الأصول في اللغة العربية .

● وعاب على الدعاة ابتعادهم عن معالجة التجارب الاسلامية المعاصرة - كالمصارف الاسلامية - وعدم الاعتناء بالواقع ، واكتفائهم بسماع الحكم من الآخرين .

● وطالب كل داعية بأن يقدر الظرف الذي هو فيه ، والوقت المناسب ، حتى يسمع إليه .

ثم تحدث الشيخ/ أحمد حنفي القاضي .. فأشاد بدور وزارة الأوقاف .. ونصح الأئمة والخطباء ..

وبعد أن استعرض الشيخ/ صلاح أبو اسماعيل .. بعض المواقف التي

واجهها .. وأن أحدهم وصفه بالنفاق .. وكيف أنه تدرج معه في الحديث حتى حرك فيه قدرته الفاهمة .. ووصل معه إلى أنه لا يعرف حقيقة المنافق إلا الله « مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وأقنعه بأن يعود إلى دراسته بكلية العلوم جامعة القاهرة بدلا من الانقطاع للعبادة في المسجد الحرام « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله » وهكذا يكون أسلوب الداعي إلى الله .

الختام

ثم ختم اللقاء بكلمة لوزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ/ أحمد سعد الجاسر ..

قال فيها :

○ ينبغي أن نحافظ على جو الحرية في الكويت ، فهي حرية مسؤولة ، وهي حرية ممنوحة للجميع .

وقال : إنها سلاح ذو حدين ، ونريد استعمالها لمصلحة الدعوة .

وأضاف قائلا : ومن خلال تجربتي القصيرة في وزارة الأوقاف وصلت إلى قناعة بأنه لا يجوز أن تكون بيوت الله مسارح للخصومات ، بغض النظر عن خطئها وصوابها ، نريدها أن تكون منبعا للكلمة الطيبة التي مثلها الله بالشجرة الطيبة ، وبالتالي فإنا نريد استشعار حرمة المساجد عندما نعلو المنابر ، فلا يستفزنا المرجفون لقول الكلمة المنحطة .

○ دعا السيد الوزير إلى أن تظل المساجد رمزا لوحدة المسلمين ، فإذا جاز للمسلمين أن يختلفوا في أي مكان فلا يجوز أن يختلفوا في المسجد .

وأضاف قائلا : لا نريد لرواد المساجد أن ينقسموا إلى جماعات يكون فيها الخصام والخلاف ، وليبق المسجد مهوى قلوب الجميع ، ومن أراد الخلافات فليقدها من خارج بيوت الله ، فرب فاسق يعي لنفسه ويرشد ، ولرب ماجن يضربه الله بعصا الطاعة فجأة ، فلا تقنطوا من رحمة الله أحدا ، ولرب عدد كبير من الدعاة كانوا في بعض الضلالات فهداهم الله .

ثم قال : ينبغي أن يكون الانسان دائما تحت رحمة الله ،فيجب علكيم أن تحدوا الناس إلى المسجد من خلال قطاعات المجتمع .

وركز الوزير في كلمته على الاهتمام بدور المسجد ، ودور الامام ، وقال : نريد جهده مستمرا ، لا موجة مندفعة ثم منحسرة ، نريد جهده في دروس أسبوعية مبرمجة لرواد المسجد جميعا .

وتمنى الوزير ـ ونتمنى معه ـ أن يوفق الله الجميع لما فيه صالح الاسلام والمسلمين .



للاستاذ
عمر
بهاء
الدين
الأميري

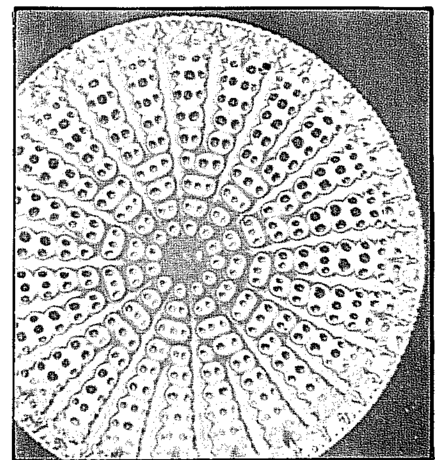
مزجت عيناي في غمضهما
الواله المرسل نحو « الخضرة »
خضرة « الروضة » في اشراقها
بجلال في سواد « الكعبة »
وظلال المسجد المحزون في
« القدس » والقبة فوق الصخرة
والدموع الغر كالدر على
خدي المحراب من « قرطبة »
بدم الصيد الذين استشهدوا
في رضا الله ومجد (الملة)
فاذا بي ، وأنا في سهوتي
هائما في سبحات السجدة
تحشد الآمال والآلام لي
عسكر « الفتح » وجند النجدة
فأراني صفت أوطاني التي
قطعت وانتثرت ... في وحدة
وحدة سامية هادية
أمرها بالحب لا بالسطوة
واذا الألوان هاتيك التي
مزجتها أعيني في غمضتي
افترقت ... ثم تلاقت صفحة
رصعت بالبأس والمرحمة
وتعالت في ذرى إسلامنا
حيث صارت « راية » للأمة

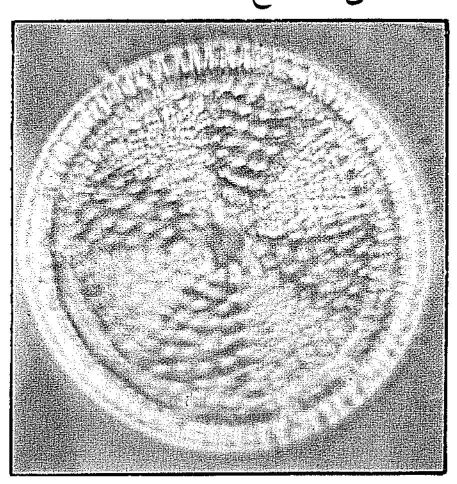


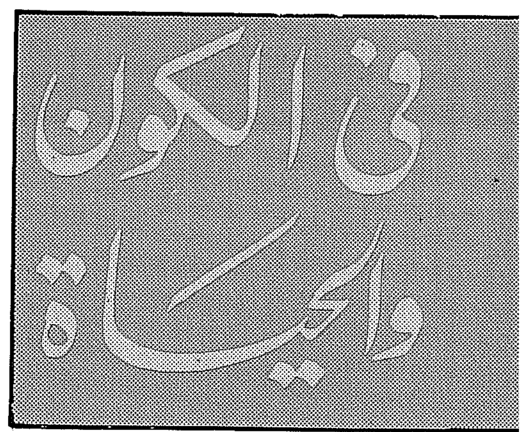
كل ما في الكون والحياة ، يشهد باتقان ما خلق الله (**والذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**)(الاعلى/٢و٣) .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر ٤٩ .. (صنع الله الذي **اتقن كل شيء**) النمل/٨٨ الى آخر هذه الآيات القرانية التي تشير الى آيات الخلق الذي جاء بحساب ، وسوى بمقدار ، لكن الانسان لا يرى من تناسق الخلق ، وجمال التكوين وروعة التدبير ، وحكمة التقدير لا يرى منه إلا أقل القليل ، ويرجع ذلك إلى قصور في حدود ابصارنا ، أو عدم البحث عن كنوز المعرفة الكامنة في آيات الخلق ـ تلك الآيات التي عبر عنها الحسين بن منصور أوجز وأجمل تعبير :

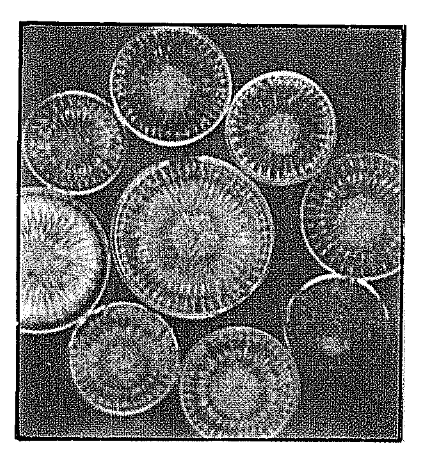
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

للدكتور/ عبد المحسن صالح









ويطيب لنا ان نقدم على صفحات هذه المجلة ، صورة أو لوحة معبرة عن باطن الخلق أو ظاهره ، لنرى فيها « مالا عين رأت » .. وهذه اللوحة التي نراها هنا تتجلى لنا فيها استدارة متكاملة ، وخطوط متناسقة ، وتكوينات مذهلة ولمسات من الجمال واضحة ، وألوان متداخلة ، وزوايا تخرج من المركز بحساب ومقدار ، يدعوك ذلك إلى التساؤل : ترى .. ماذا تعني هذه اللوحة ؟ .. ومن رسمها .. ولأية مدرسة من الفنون القديمة أو الحديثة تنتمي ؟! .. الخ

الواقع أن اللوحة لم يرسمها انسان ، بل جاءت تجسيدا لتخطيط عظيم في « برنامج » وراثي متكامل في داخل هذا التكوين الفريد ، والتكوين لكائن حي ذي خلية واحدة ، وليكون دليلا على تناسق كامن في بدايات الحياة ، وبرهانا صادقا على تنسيق في الخلق له مغزاه ومعناه ، واشارة واضحة الى تجليات الله ، ولا يدرك ذلك الا العلماء الذين يرون مالا يستطيع غيرهم ان يراه !

تلك إذن صورة مكبرة آلاف المرات لكائن من النباتات الأولية الدقيقة التي تعيش في الماء ، أوهي بالتحديد لنوع واحد من أنواع كثيرة تعد بعشرات الالآف ، وتتبع رتبة الدياتومات ، وفي هذه المرتبة تلتقط الخلية أو الكائن الحي مادة « السيليكا » (الرمل) الكائنة في الماء ، ثم تنمقها على جدارها في تشكيلات لا نكاد نحصيها عدا ، وبحيث يتمخض عن ذلك كائنات تبدو تحت عدسات الميكروسكوبات ، وكأنما هي تحف فنية سبحان من وضع لها برنامجها ، وأوحى فيها أمرها ، لتشق في الحياة طريقها ، وليأت الخلف بصفات السلف : (**وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ **(لكن أكثر الناس لا يعلمون)**

الاجتماع التأسيسي



عقد الاجتماع الأول للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية في الكويت يوم ١٧ رمضان الفائت ، وقد اجتمع فيه أكثر من ١٥٠ عضواً يمثلون ٣٨ دولة من دول العالم الاسلامي . وقد حضر الجلسة الافتتاحية معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ أحمد سعد الجاسر ومستشار سمو الأمير عبد الرحمن العتيقي وعدد من نواب مجلس الأمة والمسؤولين .

وقد ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كلمة في حفل الافطار الذي دعي إليه أعضاء الوفود كلمة شكر فيها الحضور وتمنى لهم النجاح والتوفيق لرفع راية الإسلام وتحمل المسؤولية تجاه المسلمين الذين يعانون المرض والجوع في كثير من أرجاء العالم الإسلامي .

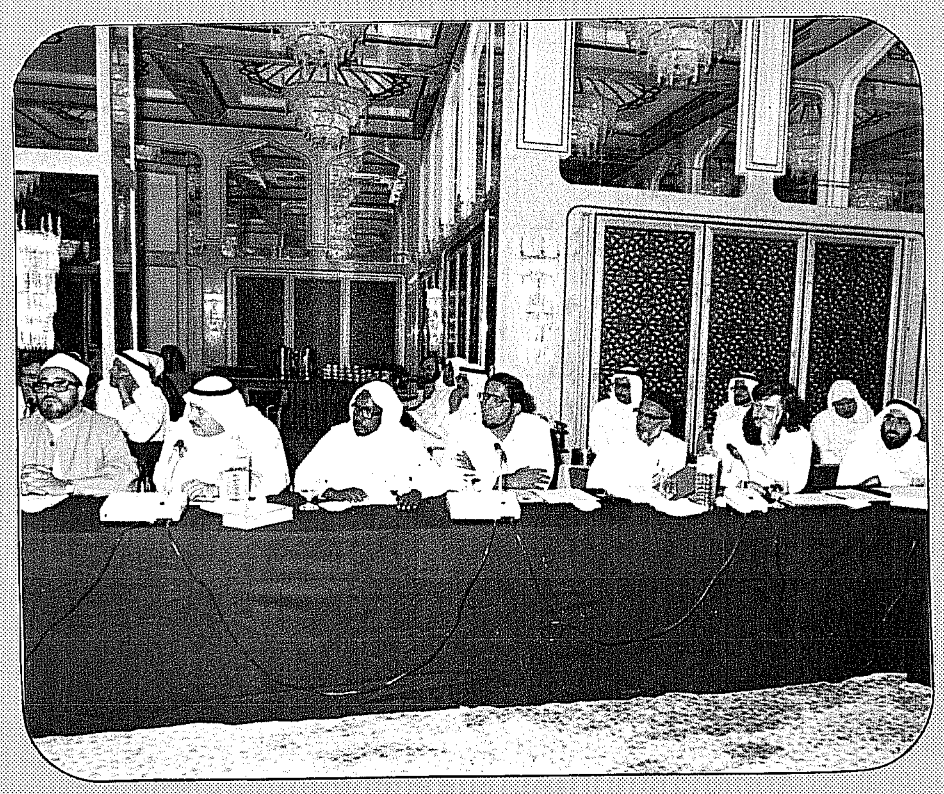
وقد تحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس اللجنة التحضيرية السيد

يـوسف الحجي فرحب بـالحضور للمساهمة في إقامة هـذا المشروع الحيوي ، وأشار إلى أهمية هذا اللقاء في ذكرى غزوة بدر الكبرى التي نصر الله بها القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وعلت بها راية الإسلام ، وقال : إذا كان المسلمون يشغلون اليوم مناطق العالم المهمة وعددهم يزيد على ألف مليون مسلم وتحت أيديهم أهم ثروات العالم حيوية وقيمة إلا أنهم يعيشون حالة بؤس وشقاء وتخلف فالكثير من بلدانهم تعاني الجهل والفقر وشظف الـعيش وبعضـهـا يعيش قـهـراً استعمارياً واخرى تعيش حالة غزو حضاري أو ثقافي . إن الألف مليون دولار الذي هو رأس مال الهيئة والذي سيستثمر في المجالات الاقتصادية الاسلامية وفقاً للشريعة الاسلامية ويصـرف من أرباحهـا وعائـداتها لـلأعمال الخيـرية وستكـون تحت إشراف مجلس إدارة من المؤسسين ولجان متخصصة لتحقيق الأهداف المبينة في النظام الأساسي بالوسائل المتـاحة . والهيئـة تقبل الـزكوات والصدقات والهبات والوصايا الخيرية والتبرعات النقدية والعينية التي تتفق مـع اهدافهـا لتنفق في وجـوهـهـا المشروعة .



ثم ألقى الدكتور يوسف القرضاوي كلمة قال فيها : العمل هنا اجتماعي خيري يهدف إلى تقديم الطعام للجائع واللباس للعريان والعلاج للمريض والإيواء للمشردين والرعاية لليتيم والتعليم للجاهل والتشغيل للعاطل .. وأشار إلى أن بعض زعماء التنصير في العالم اجتمعوا في كلورادو عام ١٩٧٨ وقرروا العمل على تنصير المسلمين في العالم ورصدوا لذلك الف مليون دولار وانشؤوا لهذا الغرض معهداً لتخريج مبشرين متخصصين في التبشير بين المسلمين ، فاذا كان غيرنا يتحرك من موقع الهجوم علينا فلا أقل من أن نتحرك من موقع الدفاع عن ذاتنا .

وقد أثنى د. القرضاوي في كلمته على الذين تبرعوا فور سماعهم هذا الاقتراح وطالبوا بإقامة هذه الهيئة . وقال أيضاً . اننا الآن بصدد إعداد الهيكل العام لهذه الهيئة ومن ثم إعداد عملية جمع المال ثم استثمار هذه المبالغ للحفاظ على رأس المال ثم عملية توزيع الأموال على المستحقين من المسلمين في أنحاء العالم . وأعلن د . القرضاوي أن هذه الهيئة هي هيئة خيرية وليس لها صلة بالسياسة ونحوها ، وهي إسلامية تحتكم في أمورها للإسلام ، وعالمية ليست محلية أو إقليمية .





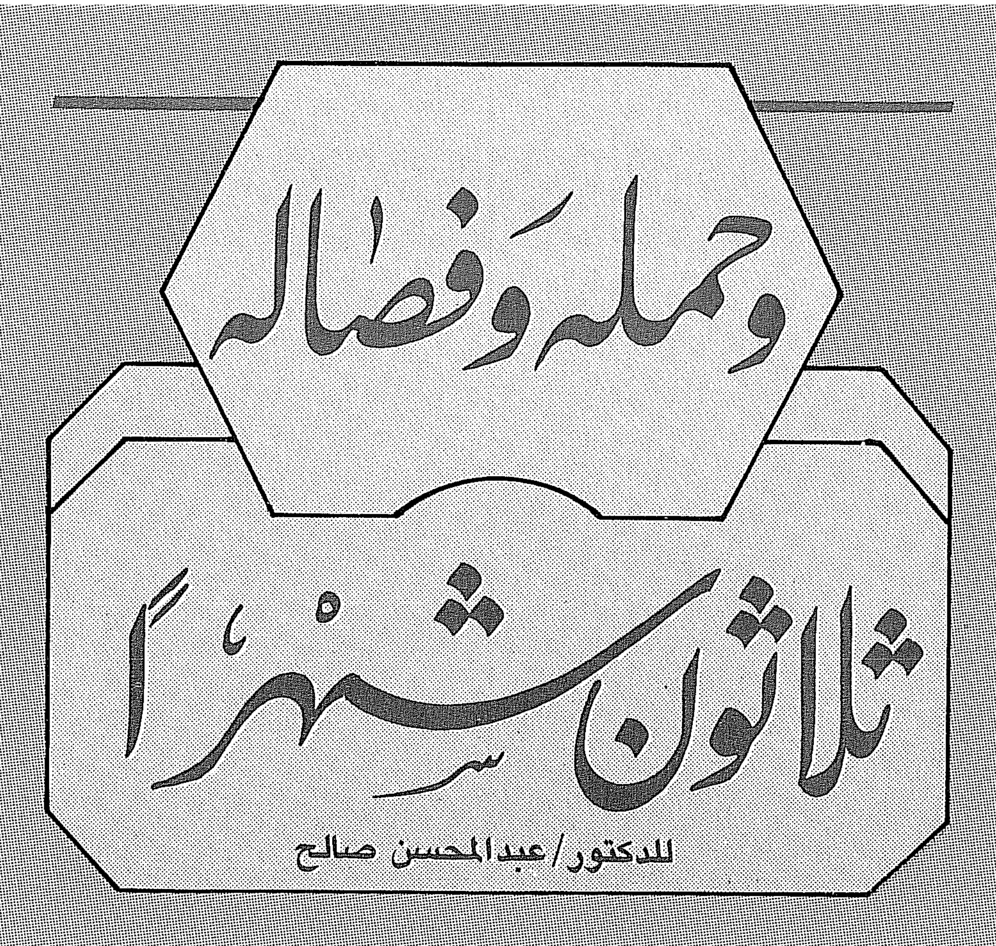
ثم تواصلت الجلسات لمناقشة مشروع النظام الأساسي للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، وتم الاتفاق على اختيار الكويت مقراً للهيئة ، ثم أجريتْ الانتخابات لتكوين مجلس إدارة الهيئة المكون من (٢١) عضواً .

وقد حصلت المملكة العربية السعودية على ٥ مقاعد والكويت على ٤ مقاعد بينما حصل كل من الدول الأخرى المشاركة على مقعد واحد .

أما اعضاء مجلس الادارة الذين تم انتخابهم منهم :

يوسف جاسم الحجي . عبدالله العلي المطوع . يوسف القرضاوي . أحمد بزيع الياسين . عيسى الخليفة . محمد بن مقود . عبدالله الزايد . اسحق الفرحان . صالح الحصين . مبارك قسم الله . أنور ابراهيم . خورشيد أحمد . فؤاد العمر . محمد البكر . أحمد ليمو . أحمد القاضي . عبدالله الانصاري . فؤاد الخطيب . غالب همت . عبدالرحمن بن عقل . أصيل ترك .

وقد جرت مناقشة باب التبرع بعد عملية الانتخاب ، وافتتح الأعضاء المشاركون باب التبرع بمبلغ قدر بمليون ونصف المليون دولار .



وحمله وفصاله ثلاثون شهراً

للدكتور/ عبدالمحسن صالح

بينما كنت أقلب في مراجعي، تعلقت عيناي بصورة معبرة أدق تعبير (وهي منشورة ضمن هذا المقال).. لم تكن الصورة لانسان، بل جاءت من عالم الحيوان، أو هي بالتحديد صورة أم وطفلها من عالم القرود.. الأم تتشبث بطفلها، وتحتضنه على صدرها، وتضعه بجوار قلبها، وتهبه حنانها، وتدفئة بحرارتها، والطفل بدوره مطمئن بين ذراعيها، سعيد بوجودها.. وبالاختصار نرى الأمومة هنا تعبر عن نفسها أدق تعبير (شكل ١).

ولقد طافت بالعقل وقتها مشاعر شتى، ولا زالت، ثم تزاحمت الخواطر، وانطلقت في الوجدان كل الذكريات التي تجمعت من الملاحظات والدراسات والبحوث والقراءات التي تشير الى غرائز دفينة في عالمي الانسان والحيوان، وعلى رأسها غريزة الأمومة التي لا يختلف عليها اثنان، ومع ذلك فان أحداً لا يستطيع أن يحدد طبيعة هذه الدوافع التي تجتاح الكائنات، فالغريزة في حد ذاتها دافع خفي، وعندما لا نجد لها تعليلاً مقبولاً، فما أيسر - والحال كذلك - أن نطلق الأسماء دون أن نصل الى جوهر الحقيقة.



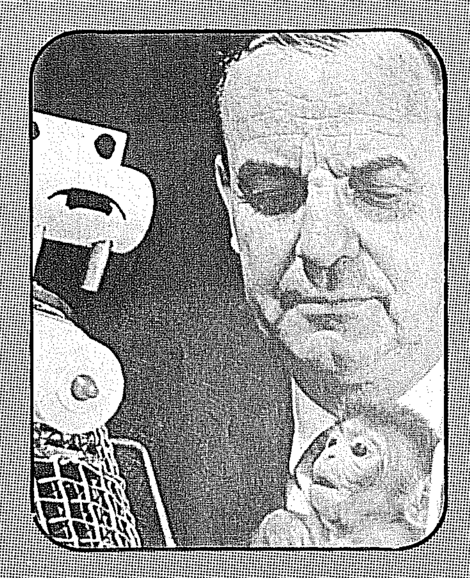
شكل (١) صورة معبرة لغريزة الامومة في عالم الحيوان ، حيث يشعر الرضيع بالدفء والحنان ، ويستكين للطمانينة والامان . ولاحظ ان الام قد الصقت راس طفلها على صدرها بجوار قلبها ، علّه يستمع إلى نبضه ويرتاح لإيقاعيته (المزيد من التفاصيل ـ راجع المقال)

والواقع ان لفظ الغريزة كلمة بديلة عن جهلنا بما كان ويكون ، فأين ـ اذن ـ موقعها من الكائنات ؟! وكيف تنشأ ؟ . وما هي طبيعتها ؟ . الى آخر هذه الأسئلة الحائرة التي يبحث لها العلم عن اجابة تشفي غليلنا الى المعرفة الحقة ، لكن الأمور لا زالت مدثرة بالأسرار ، ومطوية في غلالات من الكتمان ، ومع ان الحقيقة فيها لا زالت مبهمة ، الا ان لها آثارا تدل عليها ، ومؤشرات تشير اليها ، والصورة المنشورة ـ او غيرها ـ خير دليل على ما نقول .

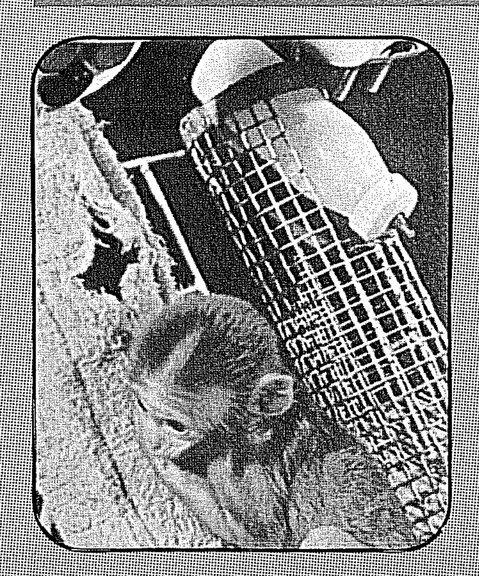
بين عالمين :

ومع ان غريزة الأمومة في عالم الانسان أرقى ، ودوافعها أقوى ، إلا أن ظروف الحياة المعاصرة والمتطورة قد تحول بين الأم وطفلها في اهم فترة من فترات تنشئته الأولى .

ولكي نوضح ، كان لا بد ان نشير الى ان دخول الأمهات ميدان العمل ، وارتباطهن بمهام الوظيفة ، قد باعد ـ بعض الشيء ـ بين الأم وطفلها ، فما عاد معظم اطفال اليوم يجدون ما وجده اطفال الأمس البعيد من رعاية



شكل (٢) الدكتور هاري هارلو يمسك بين يديه قردا رضيعا، ويقدمه لدمية صناعية مزودة بزجاجة لبن صناعي، ومع ان الغذاء هنا موجود، إلا ان الحنان مفقود!!



شكل (٣) دميتان من السلك، احداهما مزودة بزجاجة من لبن ليرضع منها الصغير، والأخرى مزودة بنوع من النسيج اللين، وعليها يستكين هذا الرضيع من عالم القرود، إن حالة الصغير وبؤسه ووحدته تعني ان النسيج اللين عله يعوضه حنان الأم المفقود.

وعناية وحنان ومداعبة، ذلك ان تنشئة الطفل لا تستقيم بالغذاء وحده، لأن تنشئته تحتاج الى أمرين هامين: أولهما التنشئة البدنية، وثانيهما التنشئة النفسية، فالانسان - على أية حال - نفس وبدن، أو روح وجسد.

ولقد اشار القرآن الكريم الى ذلك اجمل اشارة، وفي اوجز عبارة: **(وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** (الأحقاف/١٥).. **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)** (البقرة/٢٣٣).. لكن مما لا شك فيه ان المعنى الكامن في هاتين الآيتين أعمق مما نتصور، لأن عملية الرضاعة في حد ذاتها تنطوي ايضا على صلة وملامسة وطيدة بين الأم ورضيعها، ولهذا فان الأشهر الواحد والعشرين الى الاربع والعشرين التي اشار اليها القرآن الكريم لتكون الفترة المناسبة للرضاعة، هي اشارة لصلة اللبن وصلة الأمان بين احضان الأمهات الرضع، لأن امداد الرضيع باللبن وحده، ثم حرمانه من الملامسة والمداعبة والدفء والحنان، قد يؤدي فيما بعد الى تنشئة غير سوية، وقد تترك في نفسية الطفل آثارا لا يحمد

عقباها ، فنراه عصبيا وعدوانيا ومنطويا على نفسه ، لأنه لم يجد في طفولته العاطفة التي تؤهله ليكون عاطفيا مع نفسه ، ومع من حوله .

والواقع ان مثل هذه الاستنتاجات لم تنبع من فراغ ، ولا هي من وحي الخيال ، بل جاءت نتيجة لتجارب كثيرة وهادفة ، وطبيعي أن أطفال البشر ليسوا حيوانات تجارب ، بل أجريت هذه التجارب أساسا على أطفال الحيوان ، وخاصة اقربها صلة بالانسان ، ثم دخل الانسان بعد ذلك فيها ، كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد .

في جامعة ويسكونسين بالولايات المتحدة ، قام البروفيسور هاري هارلي وزملاؤه بانشاء مستعمرة للقرود في ساحة الجامعة كي يجروا فيها تجاربهم ، فكانوا يأخذون القرود الوليدة ، ويعزلونها عن أمهاتها ، ويرضعونها بزجاجات لبن كما تفعل بعض امهات هذا العصر مع أطفالها (شكل ٢) ، ونمت أطفال القرود وترعرعت ، واتسمت حياتها بالصحة والقوة والعافية ، وهذا شيء جميل ومطلوب ، لكن الشيء السيء ان الأطفال المعزولة عن أمهاتها قد اظهرت سلوكا غريبا يدل على أنها مضطربة عاطفيا او نفسيا ، ولا يسعنا هنا الا أن نقدم ما كتبه هارلي عن حالتها ، وسجله في مذكراته ، وفيها يقول « كانت تجلس في اقفاصها وترنو ببصرها الى الأفق البعيد بنظرات تائهة ، ثم تقوم من مكانها وتدور في أنحاء اقفاصها دورات متكررة وبدون هدف واضح ، وتقف لتمسك رؤوسها بيديها لفترات قد تطول تماما مثلما يفعل البشر عندما يضعون رؤوسهم بين ايديهم ويروحون في حالة شرود - وأحيانا ما كانت تصاب بحالة من الفزع والعدوانية بمجرد اقترابنا منها » .

ولقد شك هارلي وزملاؤه في ان هذه الحالة ربما ترجع الى عزل الأطفال عن امهاتها ، وحرمانها من الملامسة والمداعبة ، واحتضانها بحنان الأمومة الملاحظ دائما بين الأمهات واطفالها ، لكنهم لم يقفزوا الى هذه الاستنتاجات قفزا ، فليس ذلك من سمات العلماء التجريبيين على أية حال ، بل لا بد من التحقق من الأمر بتجارب اخرى ، ومن اجل هذا قاموا بتصميم تجربة توضح لهم الغث من السمين

تجربة مثيرة لها مغزاها :

في هذه التجربة وضعوا مع كل طفل من أطفال القرود دميتين تشبهان الى حد ما قوام امهاتها ، وكسيت احدى الدميتين بنسيج ناعم مزود بوبرلين ، وتركت الثانية على حالها دون كساء « كانت من السلك - انظر الصورة الدالة على ذلك في (شكل ٣) » ، لكنها زودت بزجاجة بها لبن ، ولاحظوا سلوك الأطفال مع هذه الدمية أو تلك .

ان هذه التجربة تعني ببساطة شديدة وضع الطفل امام اختيارين لا ثالث لهما ، فإما ان يختار الدفء

والحنان ، وإما ان يختار الطعام .. فالى ايهما يلوذ يا ترى ؟ . دعنا نرى .

لقد لاذ الأطفال جميعا – كل الوقت – للدمية التي زودت بالنسيج اللين الناعم ، وكان الطفل منها يتشبث بها ، ويلتصق بجسمه عليها ، وكأنما هو يسعد بها ويرتاح اليها ، واحيانا ما يتركها ويتجول هنا وهناك ، ثم يعود اليها ، ولم يكن ليتركها الى الدمية الأخرى الا اذا جاع ، فاذا رضع منها ، تركها في التو واللحظة ، وعاد الى الاخرى ، وكأنما هو يحتاج بالفعل الى الراحة والحنان . وكثيرا ما كان العلماء يتدخلون اثناء عملية الرضاعة ، ويضعون معه في القفص اشياء غريبة تسبب له شيئا من القلق والخوف ، وما اسرع – والحال كذلك – من قفزه مسرعا الى الدمية الأخرى ، تاركا من ارضعته ، الى من يشعر انها ستحميه من الخوف ، وتبعث في نفسه الاطمئنان ، فيتشبث بها ، ويذراعيه يطوقها .

ولقد نما هؤلاء الأطفال نموا عاديا ، لكن ليس بالنمو وحده تقاس الأمور ، وتقيم المعايير ، اذ لا بد ايضا من اخذ العامل النفسي في الاعتبار ، نقول قولنا هذا ، لأن هؤلاء الأطفال بعد ان كبروا وقاربوا سن البلوغ ، واختلطوا بأترابهم ممن بدأوا حياتهم مع امهاتهم ، اظهروا شيئا من العدوانية نحوهم ، وتجنبوا الاختلاط بهم ، وكثيرا ما فضلوا العزلة على الاختلاط ، اذ ليس باللبن وحده ، ولا بالفراش وحده ، ولا بالاثنين معا ، تتكون النفسية السوية ، بل ان عامل الأمومة من اهم العوامل التي تشكل الطفل منذ خروجه من بطن امه ، ووجوده بين ذراعيها لتحضنه ، وعلى صدرها لترضعه ، وبحنانها تدلله ، ومن الخوف تطمئنه ، الى اخر هذه الأمور الهامة التي تؤثر وتكون الشخصية في مراحل مبكرة .

وقد يقول قائل : وما يدرينا ان عزلة هؤلاء الأطفال في الاقفاص لم تكن هي السبب المباشر فيما اصابهم بعد ذلك من قلق وخوف ، ادى الى عدوانيتهم وتجنبهم لرفقائهم عند الاختلاط بهم ؟

وهو تساؤل في محله ، وهو ايضا ما أخذه هارلي وزملاؤه في اعتبارهم ، ومن اجل هذا قاموا باجراء سلسلة من التجارب ، منها مثلا ان الأطفال التي عزلت في اقفاصها مع الدمى ، كانت تخرج من عزلتها بضع ساعات كل يوم ، لتختلط مع اترابها الذين يعيشون مع امهاتهم في المستعمرة الكبيرة ، ثم يعادون الى اقفاصهم ، ولقد لاحظ العلماء كل صغيرة وكبيرة في سلوك هؤلاء وهؤلاء ، فوجدوا ان الأطفال الذين عاشوا مع امهاتهم كانوا اكثر حركة ، واعظم حيوية من اترابهم ، ليس هذا فحسب ، بل ظهر بعض الاختلاف في درجات النمو ، لم يكن – في الواقع – اختلافا كبيرا ، لكنه – على اية حال – مؤشر واضح ، فاطفال المستعمرة ذوي الأمهات زادوا في الوزن قليلا عن اترابهم اطفال الاقفاص .

واستمرت هذه التجربة فترة طويلة ، حتى اذا بلغ هؤلاء وهؤلاء من

العمر عامين ، اختفت الاختلافات تماما خاصة عند اقترابهم جميعا من مرحلة البلوغ ، فكأنما اختلاط هؤلاء بهؤلاء قد ادى الى نوع من الألفة والمودة .

لكن المحصلة النهائية لمثل هذه التجارب ، او غيرها مما اجراه علماء آخرون في معاهد بحوث مختلفة ، قد اوضحت ان الشهور الأولى من عمر الوليد لها اثرها على سلوك الطفل بعد ذلك ، ذلك ان الحرمان من اتصاله بامه ، قد ترك اثره عليه ، لأن المولود دائما ما يتشبث بأمه في هذه الفترة الحرجة من نموه .

طفل الانسان

ولا شك اننا قد لاحظنا ان طفل الانسان يستكين في أحضان امه ، ولها يهش ويبش ، حتى ولو كان ذلك في مراحل طفولته الأولى ، فما ان تهل الام عليه بوجهها ، حتى نراه يبتسم لها ، وقد يحرك ذراعيه وساقيه علامة على الفرحة ، وتأكيدا للترحيب بها ، وكذلك قد يفعل مع من تعودت نظراته عليهم ، او عاملوه بمثل ما تعامل به الأم وليدها ، ذلك ان انطباع هذه الصور في ذهنه تبدأ مبكرا ، ومن الملاحظ ايضا ان الطفل يبتسم لمن يبتسم له ويدلله ، ويبكي اذا ما وجد على الوجوه علامات العبوس أو العدوانية .

وطبيعي ان الفترات التي يقضيها الوليد مع امه ، بحكم ارضاعها له ، والعناية به ، وتدليلها له ودغدغته ، لا تقارن بأية فترات اخرى يقضيها مع غيرها ، ومن هنا كانت العلاقة بينها وبينه علاقة شبه مستديمة ، وهي ايضا علاقة حميمة ورحيمة ، ولا يعلو عليها علاقة اخرى مهما خدعنا انفسنا وافترضنا ان مربية الطفل او من كان له ذو قربى يمكن ان يحل محل الأم ، لأن الأمومة ذاتها مفهوم يتسم بالسمو والعطف والرحمة ، وهي غريزة راقية ومبهمة ، ولقد حارت في تعريفها حكمة الحكماء ، وعلم العلماء ، فكأنما هي بمثابة الوحي او النور غير المرئي الذي يشع ويضيء الوجدان بين الأم ووليدها .

ومما لا شك فيه ان اشارة القرآن الكريم الى اطالة فترة الرضاعة ، وامتدادها الى العامين : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**) انما تنطوي على حكمة ، وحكمتها ان تمتد فترة رجوع الطفل الى صدر امه ، واحساسه بالانتماء اليها ، وبالملامسة بينه وبينها ، وهذا في حد ذاته من المكونات الرئيسية لتنشئة نفسية سوية ، فليست العلاقة هنا علاقة لبن وغذاء ، لأن الطفل يستطيع ـ اذا اردنا له ـ ان يعيش على غير لبن امه بعد عام واحد من ولادته ، او ربما اقل ، لكن اذا اكتملت الرضاعة سنتين ، فلا بد ان يتبعها ايضا علاقة أخرى غير علاقة الطعام .. انها علاقة الاحساس والانتماء ، وربما كان التمرد الأسري والاجتماعي الذي نلحظه الآن على بعض الشباب ، ربما يكون راجعا

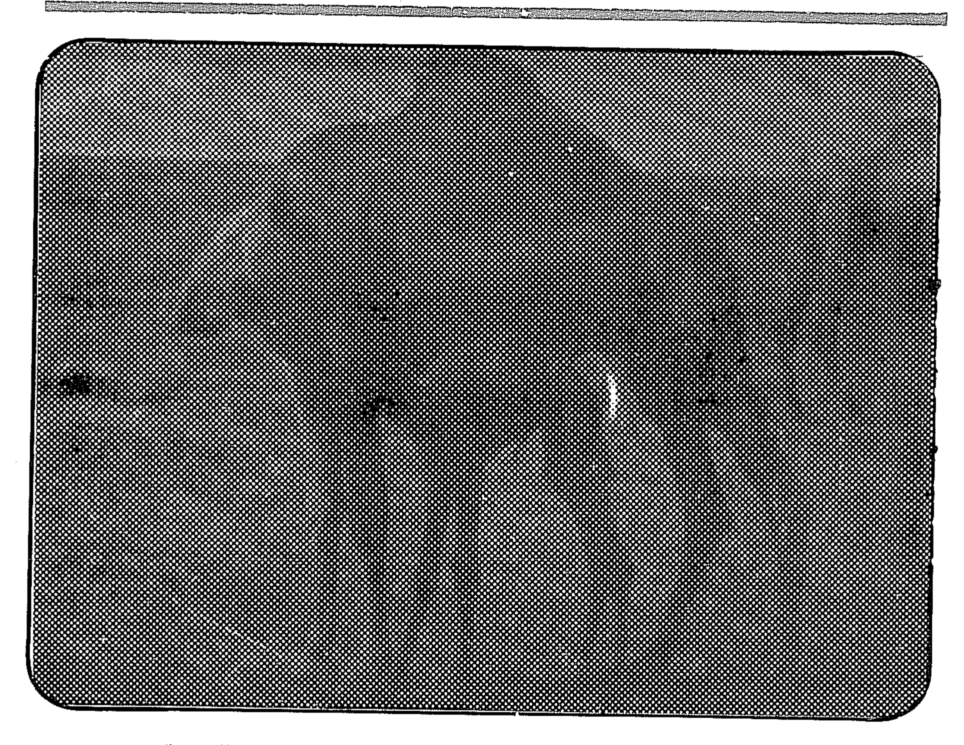
لأمهات شغلتهن هموم الوظيفة أو العمل عن رعاية اطفالهن الرعاية المثلى في مراحل الطفولة المبكرة ، او هو عامل هام من العوامل التي قد ينشأ الأطفال فيها ، ويتأثرون بها .

ان أجنة الانسان والحيوان تمر بمراحل هامة ، فهي تبدأ في البطون ، وتخرج من البطون الى الصدور ، وغالبا ما تحمل الأمهات صغارها على الجانب الأيسر من صدورها (انظر بعض الصور الدالة على ذلك) وقد لا يكون ذلك محض صدفة ، بل هي العادة السائدة ، ولها يرتاح الأطفال ، لأنهم تعودوا على الاحساس بنغمة ثنائية منتظمة ورتيبة تصدر من القلوب التي تأتي الى اليسار .. نغمة تتردد على هيئة « لب .. دب .. لب .. دب . لب .. دب » وهذا - بلا شك - أول ايقاع أو « ريتم » سمعه كل حيوان ثديي عندما كان جنينا في بطن أمه ، ففي الشهر الخامس من عمر جنين الانسان ، تتكون له اذنان كاملتان ، وبهما يتقبل تلك المقاطع الثنائية الرقيقة التي تصدر عن قلب أمه ، ولا بد انها قد آنسته في عالمه الموحش المظلم داخل الرحم .

وعندما يولد الطفل ، تنقطع الصلة بينه وبين أعظم وأرق مهد طبيعي قضى فيه أشهرا تسعة دون أن يدرك او يدري ، لكن تكوينه العصبي - في تلك المرحلة - كان على صلة وثيقة بما يجري ، بمعنى ان دقات قلب الأم قد انطبعت فيه ، لتؤثر على سلوكه مستقبلا ، ويكفي ان نشير هنا الى اهتمام الطفل بدقات « رقاص » الساعة الرتيبة عندما نلصقها على احدى اذنيه ، عندئذ نراه يستمع اليها ، ويقبل عليها ، لأنها اقرب ما تكون الى النغمة الثنائية لدقات القلوب ، وهي التي عايشها وهو لا يزال جنينا في بطن أمه ، ولهذا يعلق دكتور « لي سولك » أستاذ علم النفس الاكلينيكي لطب الأطفال بجامعة كورنيل الامريكية ومدير قسم سيكولوجية الطفل بمستشفى نيويورك - يعلق على هذه الظاهرة بقوله « ربما ونحن في بطون أمهاتنا قد توطدت علاقة بين ايقاعية نبضات قلب الأم ، وبين الجهاز العصبي والسمعي للجنين ، فأدى ذلك الى تهيئة جو خال من التوتر ، وربما نشأ حبنا للشعر المنظوم ، او الغناء الموزون ، او دقات الدفوف ، او الايقاع الموسيقي .. ربما نشأ ذلك فينامنذ ان كنا أجنة نستمع إلى قلوب امهاتنا » !

تجارب على اطفال البشر :

ان وجود الطفل بين ذراعي امه ، او احتضانها له على صدرها ، او مداعبته ودغدغته .. الخ ، لمن العوامل الهامة التي تسعد الطفل ، وتجعله يستكين وينام ، خاصة اذا حملته فوق صدرها ، والصقته بجوار قلبها (وهي العادة الغالبة عند معظم السيدات).. ولقد جذبت هذه الملاحظة اهتمام بعض العلماء وتساءلوا : هل يمكن ان تكون هناك علاقة بين دقات قلوب الأمهات ، وبين



شكل (٤) لمحة حنان من عالم الحيوان بين ناقة عربية ووليدها ، والصورة تعبر عن احاسيس مبهمة .. فطرة الله التي فطر الكائنات عليها

نمو الأطفال واطمئنانهم لايقاعية هذه الدقات ، فتجعلهم اقل توترا ، واكثر استرخاء ؟

ولا يكفي التساؤل ، كما لا تكفي ايضا الاجابة بدون تجارب ، تتمخض عن نتائج ، ومن اجل هذا اختار مجموعة من العلماء احدى دور الحضانة التي تترك فيها الأمهات الأمريكيات اطفالهن الرضع عندما ينشغلن في اعمالهن لساعات طويلة ، وقاموا بتقسيم الأطفال الى مجموعتين ، مجموعة منها اذيعت عليها تسجيلات لدقات قلب ام ، ومجموعة اخرى كانت بمنأى عن هذا التسجيل ، ثم لاحظوا الحالة النفسية والفسيولوجية والصحية لهؤلاء وهؤلاء ، وتمخضت هذه التجربة عن حقائق مثيرة .

ومن هذه الحقائق ان الأطفال الذين سمعوا لتسجيل قد زادت اوزانهم ـ لكل منهم ـ في المتوسط ـ حوالي ٤٠ جراما خلال الأيام الأربعة التي اذيعت فيها نبضات القلب ذات الايقاعية الثنائية الهادئة ، في حين ان الاطفال الذين حرموا من سماع هذا التسجيل لم يزد وزن الواحد منهم عن عشرين جراما ، وفي المدة ذاتها .

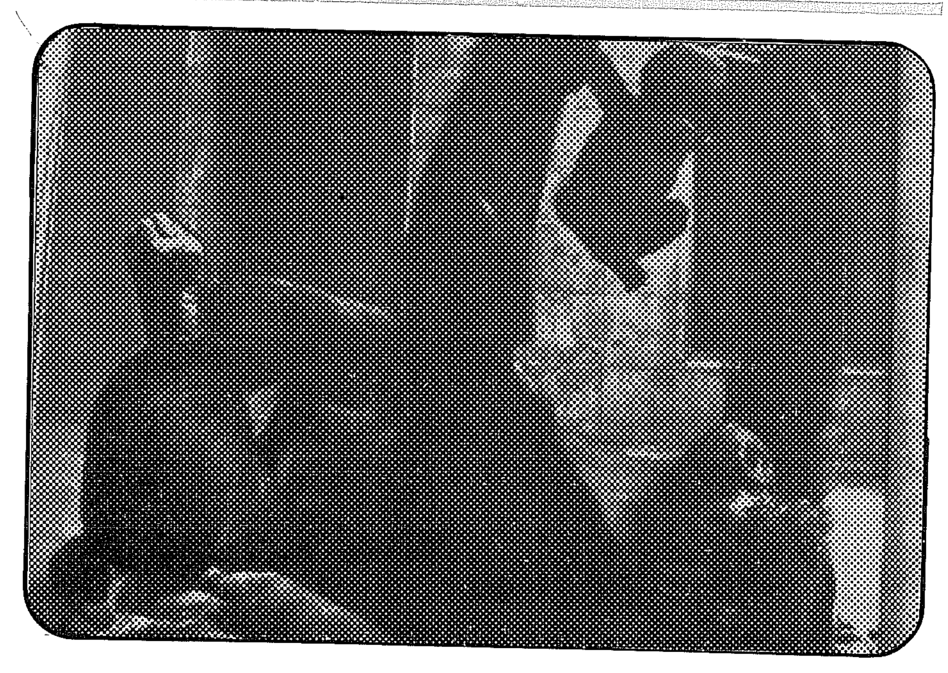
كذلك سجل العلماء عدد مرات بكاء الأطفال ، وطول فترته ، فاتضح ان الذين اذيعت بينهم تسجيلات نبضات

القلب ، قد انخفضت بينهم عدد مرات البكاء ، وطول فترته بنسبة ٣٠٪ ، في حين ان اكثر من ٦٠٪ من اطفال المجموعة الاخرى التي لم تسمع ، قد بكت لفترات اطول ، ولعدد من المرات اكثر ، ولهذا يرجع العلماء سبب الوزن الزائد عند الأطفال الذين سمعوا التسجيل ، ربما يكون لقلة البكاء ، لأن البكاء يحتاج الى طاقة ، والطاقة تتطلب « وقودا » ، والوقود في الغذاء الذي يرضعونه ، وكأنما الطاقة التي يجب ان تستغل في البناء ، قد استهلك جزء منها في البكاء ، ومن هنا يمكن تعليل زيادة وزن هؤلاء عن هؤلاء .

ومن اكثر التجارب اثارة تلك التجربة التي جاء فيها العلماء بتسجيل لدقات قلب مضطرب ، ذات نبض مرتفع « بمعدل ١٢٨ نبضة في الدقيقة » ، واذاعوه على مجموعة من الأطفال الرضع ، عندئذ ظهرت عليهم حركات قلقة ، فمنهم من بكى ، ومنهم من استيقظ من نومه ، فبكى مع من بكى ، وكأنما هذا الشذوذ في الايقاعية ، قد اثار فيهم نوعا من القلق والتوتر ، فعبروا عن عدم ارتياحهم له بالبكاء والعويل ، وعندما توقف هذا التسجيل ، وحل محله تسجيل آخر لنبضات هادئة ، ذات ايقاعية رتيبة ومنتظمة ، بدأت المواليد تهدأ وتستكين ، فمنهم من نام في طمأنينة ، ومنهم من ظل في حالة نفسية طيبة ، وكأنما هم يستمعون الى سيمفونية بديعة من صنع الله الذي اتقن كل شيء .

كل هذه التجارب وغيرها ، قد اصبحت بمثابة مؤشر بيولوجي يوضح لنا العلاقة الوطيدة بين قلوب تؤثر في نفوس ، وهذا ما تؤكده ايضا اشارات القرآن الكريم قبل ان تظهر العلوم التجريبية بحقب طويلة ، لأن غريزة احتضان الأمهات لأطفالهن في فترات رضاعتهن ، ثم استكانتهم على صدورهن ، ليس صدفة او اعتباطا ، بل هو ـ وكما يعبر عنه دكتور سولك ـ « تفاعل مبهم بين كائنين ، وتجاوب غامض بين نفسين ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى احساس بالرضا والطمأنينة والشعور المتبادل ، وفيه يلعب القلب دورا هاما ، ليس فقط لخلق شعور طيب بالسكينة للرضيع ، لكنه يمنح الآم ايضا شعورا بالسعادة عندما تحس ان نبضها قد انعكس من وليدها اليها ، وكأنما هو شريان حياة يربط بينهما برباط مقدس » !

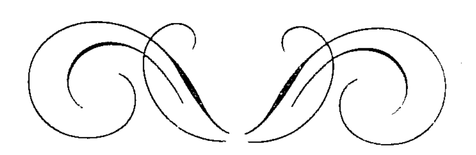
والواقع ان التجربة الانسانية ذاتها قد ظهرت قبل تجارب العلماء بزمن طويل ، وهي دائما تعبر عن نفسها فيما نراه بين أم ووليدها ، فعندما يترك على فراشه ـ مهما كان هذا الفراش وثيرا وناعما ومريحا ـ فانه لا يغني مطلقا عن الصدر الحنون ، فعندما يبكي الطفل على فراشه ، ربما شعورا بوحدته ، أو حنينا الى العنصر الانساني الذي يفتقده اذا ما ترك لحاله فترة قد تطول ، فانه سرعان ما يكف عن البكاء عندما يؤخذ بين الأحضان ، هذا إن لم يكن به مغص أو ألم أو جوع ،



شكل (٥) بعد ان ارضعت الغوريلا طفلها ، اخذت هذا الوضع المريح وراحت تتطلع الى وليدها ، وهي تلاطفه وتداعبه وتدلله .. فمثل هذا السلوك ليس مقصورا فقط على انثى الانسان

وعندئذ يحس بالأمان ، ويبتسم للحنان ، ومن أمن واستكان ، هدأ وسكن في امان .

نعود لنقول : ان الغريزة المبهمة بين الطفل وأمه ، خاصة في مراحل نموه المبكرة ، ليست مقصورة فقط على الانسان ، بل نراها ايضا في عالم الحيوان ، وبالتحديد في الحيوانات الثديية التي تحتضن اطفالها على صدورها ، او تحملها بين ذراعيها ، وترضعها من اثدائها ، والصور المنشورة هنا خير دليل على ما نقول (شكل ٤ ، ٥).. والحق نقول بقول الحق : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**).. ففيهما - اي الحولين - تتشكل النفوس السوية ، وتنمو الأبدان الفتية ، وفي هذا الكفاية لقوم يدركون ويفقهون .



وقفة تأمل

الصحافة الإسلامية

○ قال محدثي : إن الصحافة الاسلامية ضعيفة ، ومتخلفة ، تعيش في واد والناس في واد آخر ، لا تشارك في معالجة أحداث الساعة ، وما أمرها وأقساها في الساحة الاسلامية ، والعربية منها خاصة .

○ ومضى يقول : إن الصحافة الاسلامية لا تصنع رأيا عاما في الأوساط الشعبية ، بل إن الكثيرين لا يعرفون من الصحافة الاسلامية حتى مجرد أسمائها .

○ ومع ذلك فإنه لا يخلو قطر من أقطار المسلمين إلا وتصدر فيه عدة مجلات إسلامية .. أو قل : مجلة واحدة على الأقل ..

○ فهل هناك جدوى من صحافة لا تعنى بشؤون المسلمين .. « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ؟!

○ هل هناك جدوى من صحافة هي مجرد فصول من عدة كتب لا تغير من واقعنا شيئا ؟

○ ونقول بعد أن فرغ صاحبنا من حديثه .. الذي اكتفينا بذكر بعضه : إن الذي تعانيه الصحافة الاسلامية أقسى مما تتصور ، والعلل أكبر من أن تشخص ، والأمراض تكاد تفتك بالجسد الواهن ..

ودعني أصارحك ..

○ أنت تعلم أن هناك صحافة إسلامية صنعتها أجهزة معينة على عينها ، لحاجة في نفسها ، ولكي يقال عنها : إن لها صحافة إسلامية .. وهذا الجزء من المصارحة يكفي .. وإلا ..

○ وهناك صحافة إسلامية ذات اتجاه معين .. قد يصفه البعض بأنه متشدد . فتسبب النفور منها في أوساط العديد من الناس .

○ وهناك صحافة إسلامية مكبلة بقيود رهيبة ، لاتستطيع منها فكاكا .. فكل حرف فيها لا بد أن يمر على الرقيب ، والمسئولون على هذا النوع من

الصحافة نصبوا من أنفسهم رقباء من كثرة إلفهم لمنطق الرقيب - فيسارعون متطوعين لتنفيذ رغبات لم يفصح أصحابها عنها .

○ وبعض القائمين على الصحافة الاسلامية إما معينون من قبل السلطة - وهؤلاء مجرد أقلام في يد الكبار ، وإما يعيشون في زمن غير زمانهم .

○ وإذا ما قيض الله للصحافة الاسلامية رجلا مناسبا .. جوبه بحرب شعواء من الداخل والخارج ، وإتهم بما لا يقال .. « والتهم جاهزة سلفا » .. ثم يطرد او يزاح عن منصبه ، أو تغلق الصحيفة .

○ وإذا ما حاولت أقلام شابة أن تتصدى لأصحاب مبادىء هدامة .. تنخر في عظم أمتنا كالسوس ، فتكاد تأتي عليها حتى النخاع .. إذا ماحاولت هذه الأقلام الشابة المؤمنة منعت ، وقيل لها ما لا يقبله المنطق ، ولا يرضاه الدين .

○ فكيف يمكن لصحافة هذا واقعها أن تؤدي دورها .؟؟

○ وعلى الطرف الآخر صحافة ناشطة .. تجري وراء الخبر ، وتنفق ببذخ ، وتخدم أفكارا معينة ، بل وتضلل الرأي العام حينا ، وتعرى الناس - بعض الناس - حينا آخر ، فتتكشف عورات ما كنا نظنها بهذا القبح .

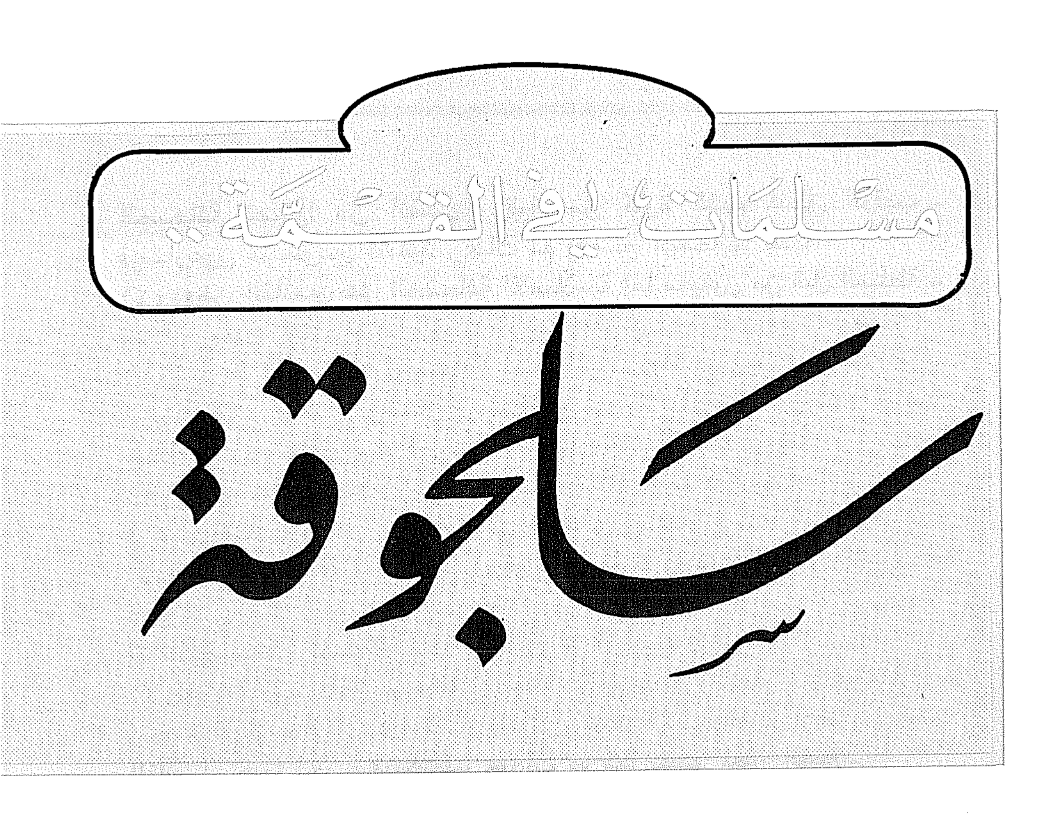
○ وما أكثر الصحافة اليومية ، والأسبوعية ، والهشرية ، والفصلية .. وهكذا .. حتى لتجد نفسك في ركام من الورق لا تكاد تذكر شيئا - حتى يأتي غيره فينسيك إياه ، وأيامنا وليالينا بالأحداث حبلى ، وفي كل ساعة مولود جديد .

○ فكيف يمكن للصحافة الاسلامية أن تواكب الأحداث ، وليست هناك صحيفة إسلامية يومية واحدة ؟

○ كيف يمكن للصحافة الاسلامية أن تؤدي دورها المطلوب منها .. والحال كما وصفت لك ؟

○ ومع ذلك ، فان بقاءها - مع ما هي عليه - أفضل من عدمه ، فقد يأتي اليوم الذي تؤدي فيه دورها كاملا ، ولا يمكننا أن نغفل وجود صحافة إسلامية ذات مستوى جيد ، وأن هناك مخلصين حريصين على أن تصل الثقافة الاسلامية إلى القراء في الوطن الاسلامي الكبير ، وخارج الوطن الاسلامي ، فعلى الجهد المتواضع يثمر - ولو قليلا - برعاية الله وتوفيقه .. وبجهد العلماء الغيورين على دينهم .. والرجال العاملين من أجل صالح المسلمين . هذا ما نرجو ونأمل ..

فهمي عبد العليم الامام

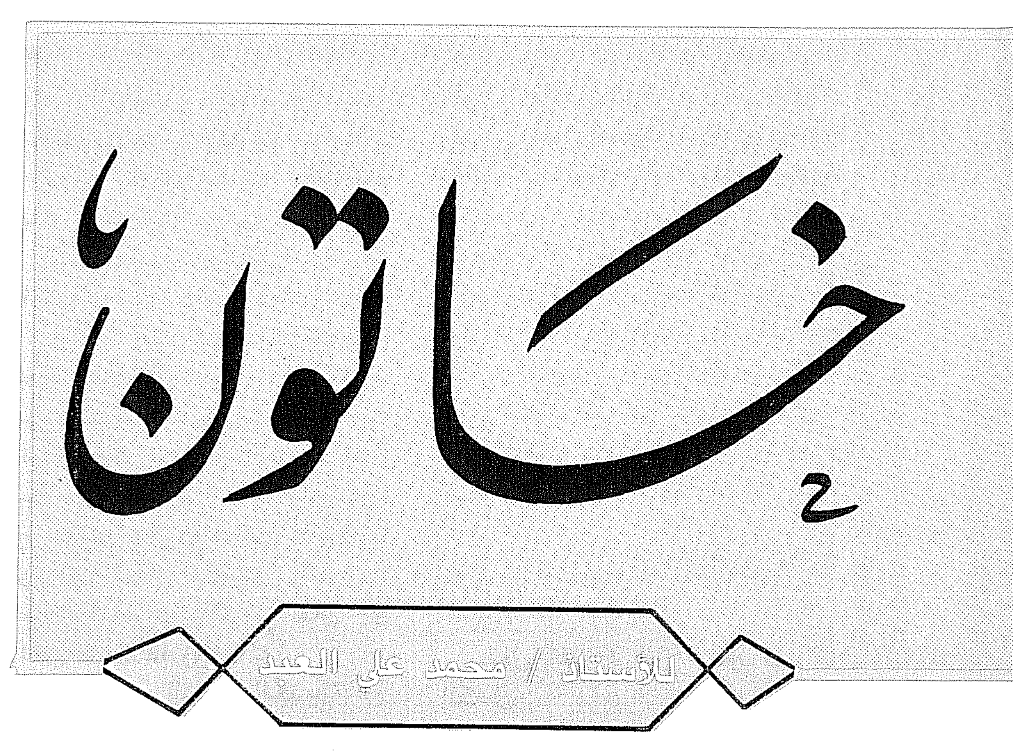


مقدمة

لو حق لفتاة أن تفخر بما قام به أبوها واخوتها وبنو قومها من أعمال مجيدة في خدمة الاسلام والدفاع عن المسلمين ، لكان لزوج الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وابنة سلطان ملك الدروب وأرض الروم ، قلك أرسلان ، السيدة سلجوقة خاتون ، قصب السبق في هذا السبيل .

منذ أن دخلت بلاد الشام في ملك المسلمين أيام الخلفاء الراشدين وعلى امتداد الخلافتين الأموية والعباسية ظلت آسيا الصغرى (الاناضول وتركيا اليوم) موطن الصراع بين الاسلام والمسيحية ، وأرض المعارك الطاحنة بين العرب والروم ، فلما وصل قوم السيدة سلجوقة خاتون لتلك البلاد حسم الأمر لصالح الاسلام ، ففر الروم من الأناضول الى قارة أوروبا ، حيث احتموا بأسوار القسطنطينية ، وأقاموا حذرين أن يحتل المسلمون مدينتهم العظمى ، فاستغاثوا بالبابا واستدعوا أمم أوروبا لحمايتهم ، فأقبلوا اليهم على كل صعب وذلول في جيوش لها أول وليس لها آخر ، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري .

كان قوم السيدة سلجوقة يسمون بسلاجقة الروم تمييزا لهم عن سلاجقة العراق ، ولما شبت نار الحروب الصليبية كان سلاجقة العراق مشغولين بحرب بعضهم



بعضا ، فلم يسرعوا للقاء الغزاة الأوروبيين ، وبقي سلاجقة الروم وحدهم في الميدان ، واستطاعوا أن يمزقوا أول جيش عبر بحر مرمرة الى الاناضول بقيادة بطرس الناسك ، شر ممزق ، فعاد من بقي منهم بأخبار ما أصابهم إلى القسطنطينية ، ولما عبرت الحملة الكبرى إلى بلادهم استطاع الصليبيون أن يحتلوا عاصمتهم « نيقية » بعد حصار طويل ، وبعد أن قتل منهم عدد كبير .

أما في الحملة الصليبية الثانية بقيادة ملكي فرنسا والمانيا فقد تمكن قوم السيدة سلجوقة بقيادة ابيها ، قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان ، من تدمير تسعة أعشار تلك الحملة ، وذلك عام ٥٤٢هـ - ١١٤٧م ، ووصلت الغنائم التي استولوا عليها من الصليبيين إلى أبعد الأسواق الاسلامية . ولقد أقسمت زوجة ملك فرنسا ، التي كانت ترافقه ، وهي ترتعد خوفا ، ألا تسير في بلاد المسلمين مرة أخرى ، اذا قدرت لها النجاة .

لقد ولدت السيدة سلجوقة خاتون وسط نيران هذه الحروب ، وشهدت ، منذ طفولتها ، قومها يصطلون بنارها ، ويخوضون غمارها ، وشبت بين صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، وصيحات الأطفال المفجوعين بآبائهم ، والأرامل

النادبات أزواجهن ، فنشـأت تقية نقية ، تقوم ليلها ، وتصوم نهارها ، تدعو ربها بالنصر لقومها ، والعزة لدينها ، ولم تعرف لهوا ولم تتقن غناء . فلما خطبها نور الدين محمد بن قرا ارسلان ملك حصن كيفا ومدينة آمد ، وزفت إليه مع عدة حصون اقتطعها أبوها من مملكته وضمها إلى أراضي صهره الجديد ، لم تنل لديه الحظوة ، ولا العناية التي تلقاها الزوجة من زوجها ، فقد كان هذا الأمير بعيدا عن ساحات الجهاد ، يعيش بين قرع الكؤوس وأصوات الغانيات المغنيات اللواتي مال إلى احداهن فاتخذها زوجة له .

لو كانت هذه الزوجة الجديدة غير مغنيـة لعوب ، لجـاز لنا أن نظن بسلجوقة خاتون انها قد عجزت عن ارضاء زوجها ، إمـا لقبح صـرفه عنها ، أو لترفع وكبرياء نفراه منها ، أو لأمور أخرى تقـع بين الأزواج فيضطر الزوج أن يميل إلى أخرى يجد سعادته لديها ، وتكون ذات فضل على زوجته الأولى في جمال ، أو أدب ، أو عفاف ، أو عباد . اما أن تكون ميزتها التي استهوت هذا الأمير هي الغناء على مجالس الشراب ، والتنقل من بلد إلى بلد ومن معجب بها إلى معجب آخر ، فذلك ما نزل على تلك الفتاة الفاضلة وقومها نزول الصاعقة .

لقد كانت سلجوقة جميلة جمالا فائقا ، إذ لم يكد هذا الأمير يلقى ربه عام ٥٨١هـ حتى سارع الخليفة إلى خطبتها ، وهو الذي وصفه الرحالة ابن جبير بأنه جميل المنظر ، أبيض اللون ، معتدل القامة ، رائق الرواء . ولو أن هذا الخليفة - الذي سنذكر زواجه بسلجوقة فيما بعد - تزوجها طمعا في استمالـة أبيها ، وتقـربا لقومها ، لما أحبها ذلك الحب العظيم الذي تحدثت عنه كتب التاريخ ، فقد توفيت في قصره فوجد بها وجدا ظهر للناس كلهم ، وبنى أبواب القصر الذي كانت تسكنه حتى لا يرى ما يذكره بها ، وكان لا يتمالك نفسه عن البكاء إذا ذكرها أحد أمامه .

غضب سلجوقة لكرامتها

يقول المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل :

وفي سنة ست وسبعين وخمسمائة سار صلاح الدين يوسف بن أيوب من الشام إلى بلاد قلـج أرسلان بن مسعود ليحاربه ، وسبب ذلك أن نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوج ابنة قلج ارسلان وبقيت عنده مدة ثم إنه أحب مغنية فتزوجها ومال إليها ، وحكمت في بلاده وخزائنه ، وأعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيا منسيا ، فبلغ أباها الخبر فعزم على حرب نور الدين وأخذ بلاده ، فأرسل نور الدين إلى صلاح الدين يستجير به ويسـأله كف يـد قلج ارسلان عنه ، فأرسل صلاح الدين إلى قلج ارسلان في المعنى ، فأعاد الجواب : إنني كنت قد سلمت إلى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي ، فحيث آل الأمر معه إلى

ما تعلمه ، فأنا أريد من يعيد إلي ما أخذه مني . وترددت الرسل بينهما ، فلم يستقر حال فيهما ، فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره ، وجاءه نور الدين محمد (زوج سلجوقة) ، وأقام عنده ، فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه ، أرسل إليه أكبر أمير عنده ، ليقول له : إن هذا الرجل فعل مع ابنتي كذا ، ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه ، فلما وصل الرسول ، واجتمع بصلاح الدين ، وأدى الرسالة ، امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ ، وقال للرسول : قل لصاحبك : والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لأسيرن إلى (ملطية) وبيني وبينها يومان ، ولا أنزل عن فرسي إلا في البلد ، ثم أقصد جميع بلاده ، وآخذها منه . فرأى الرسول أمرا شديدا ، فقام من عنده ، وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوة ، والتجمل ، وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك مما ليس عنده ما يقاربه ، فعلم أنه إن قصدهم أخذ بلادهم ، فأرسل إليه في الغد يطلب أن يجتمع به ، فأحضره ، فقال له : أريد أن أقول شيئا من عندي ، وليس رسالة عن صاحبي ، وأحب أن تنصفني ، فقال له : قل ، قال : يا مولانا أما هو قبيح بمثلك ، وأنت أعظم السلاطين وأكبرهم شأنا ، أن تسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة ، وأعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك ، وللمسلمين عامة ، وجمعت العساكر من أطراف البلاد البعيدة والقريبة ، وسرت ، وخسرت أنت وعساكرك الأموال العظيمة لأجل قحبة مغنية ، ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة ، وملوك الاسلام ، وكافة العالم ؟ وأحسب أن أحدا ما يواجهك بمثل هذا ، أما يعلمون أن الأمر هكذا ؟؟ ثم احسب أن قلج ارسلان مات ، وهذه ابنته قد أرسلتني إليك تستجيرك وتسألك أن تنصفها من زوجها ، فإن فعلت فهو الظن بك ألا تردها . فقال صلاح الدين : والله الحق بيدك ، وإن الأمر لكما تقول ، ولكن هذا الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه ، **لكنك أنت اجتنبته** ، وأصلح الحال بينكم على ما تحبون ، وأنا أعينكم عليه ، وأقبح فعله ، ووعد من نفسه بكل جميل ، فاجتمع الرسول بصاحب الحصن ، وتردد القول بينهم ، واستقر أن صاحب الحصن يخرج المغنية عنه بعد سنة ، وإن كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج أرسلان عليه ، واصطلحوا على ذلك . وعاد صلاح الدين عنه إلى الشام ، وعاد نور الدين إلى بلاده ، فلما انقضت المدة أخرج نور الدين المغنية عنه ، فتوجهت إلى بغداد وأقامت بها إلى أن ماتت .

السيدة سلجوقة خاتون تخرج للحج

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة هجرية خرجت السيدة سلجوقة خاتون قاصدة مكة المكرمة في موسم

الحج ، وكانت في الخامسة والعشرين من عمرها ، ونجد في رحلة الأديب الأندلسي ابن جبير وصفا رائعا لما رآه من أفعالها وصفاتها ، قال :

وكان المجتمع من الحجاج في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم ومن النساء العقائل المعروفات « بالخواتين » واحدتهن خاتون ، ومن السيدات بنات الأمراء كثير . ومنهن الملكة سلجوقة خاتون بنت ملك الدروب والأرمن وما يلي بلاد الروم . وخاتون هذه أعظم الخواتين قدرا ، بسبب سعة مملكة أبيها ، وهو في بسطة من ملكه ، واتساع من إمرته ، وصهره عليها نور الدين صاحب مدينة آمد وما سواها ، ولخاتون هذه أفعال من البر كثيرة في طريق الحج ، منها سقي الماء للسبيل ، عينت لذلك نحو الثلاثين ناضحة ، ومثلها للزاد ، واستجلبت لما تختص به من الكسوة والازواد وغير ذلك نحو المائة البعير ، وأمورها يطول وصفها ، وسنها نحو خمسة وعشرين عاما ، ويصف هذا الرحالة دخولها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

ومن عجيب ما شاهدناه من الأمور البديعة الداخلة مدخل السمعة والشهرة أن (سلجوقة خاتون) وصلت عشي يوم الخميس السادس من محرم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راكبة في قبتها ، وحولها قباب كرائمها وخدمها والقراء أمامها ، إلى أن وصلت باب المسجد المكرم ، فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها ، ومشت إلى أن سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة التي بين القبو الكريم والمنبر ، فصلت فيها تحت الملحفة ، والناس يتزاحمون عليها ، والمقامع تدفعهم عنها ثم مشت إلى الصفحة الغربية من الروضة المكرمة ، فقعدت وأرخى الستر عليها ، فما زالت في موضعها إلى الليل ، ثم حضر رئيس الشافعية ، والحرم قد غص بالمنتظرين (لسماع وعظه) والخاتون جالسة موضعها ، وعند وصول رئيس العلماء أزيل الستر عنها ، وبقيت بين خدمها وكرائمها متلفعة في ردائها ، فعاينا من أمرها في الشهرة الملوكية عجبا .

ولما عاد الحجاج إلى بغداد ، وانتهت مهمة أمير الحج هناك ، خرجت سلجوقة خاتون تقود الحجاج إلى الموصل وديار بكر ، حيث بلاد زوجها ، وخرج ابن جبير في ركبها ، وقد وصف دخولها الموصل واستقبال الناس لها ولأم ملك الموصل العائدة بصحبتها ، ثم أكمل حديثه عنها بقوله : وأخبرنا غير واحد من الثقات ، ممن يعرف حال خاتون هذه ، أنها موصوفة بالعبادة والخير ، مؤثرة لأفعال البر ، فمنها أنها أنفقت في طريقها هذا إلى الحجاز في الصدقات مالا عظيما . وهي تحب الصالحين والصالحات ، وشأنها عجيب على شبابها وانغماسها في نعيم الملك والله يهدي من يشاء من عباده .

وفاة زوجها وخطبة الخليفة لها

وفي عام واحد وثمانين وخمسمائة للهجرة توفي نور الدين زوج سلجوقة فخطبها الخليفة العباسي إلى أبيها، وأرسل لذلك الشيخ المحدث الصوفي أبا يعقوب يوسف بن أحمد الشيرازي، فجاء بها إلى بغداد سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

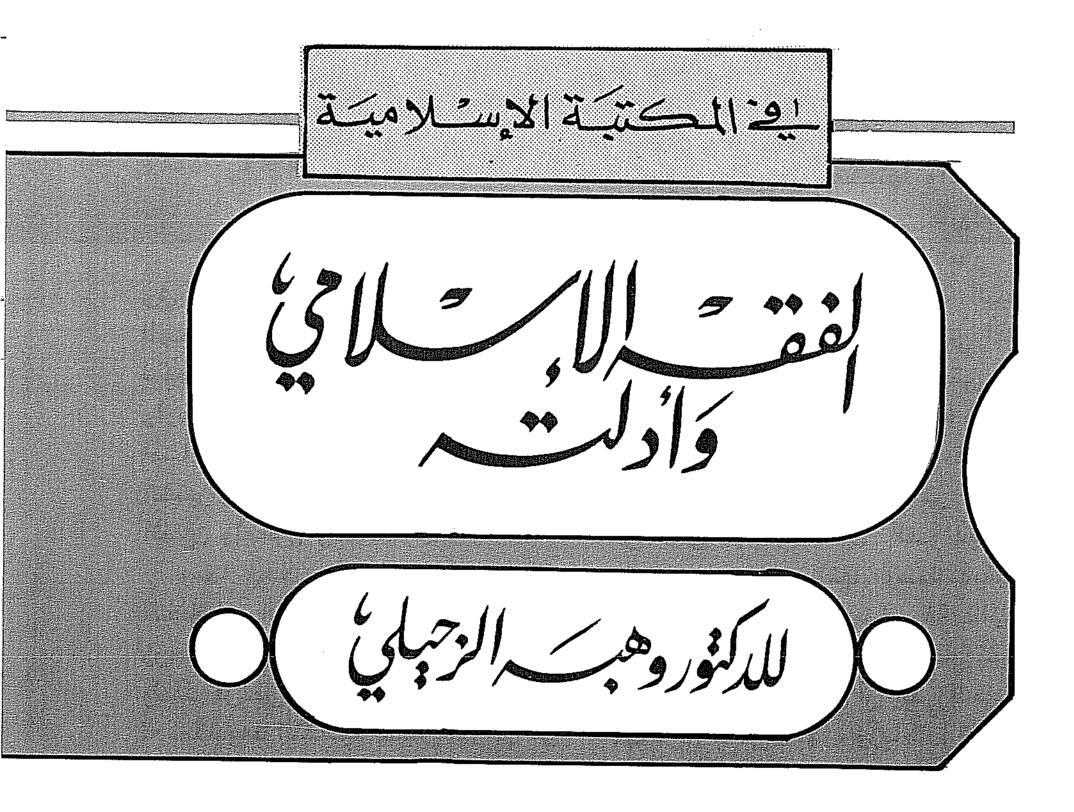
ومما يعجب له المرء أن أمهات الخلفاء العباسيين والمشهور من زوجاتهم كن من الجواري المجلوبات، ولذلك قل من استقر له أمر أو استقام له حكم بعد الثمانية الكبار الأوائل من أولئك الخلفاء. ولقد كان هذا الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء شهما، شجاعا، ذا فكرة صائبة وعقل رصين ودهاء، قل من يشبهه ممن سبقه من الخلفاء، ولم يأت بعده أبدا من كان قريبا منه، ولذلك فان اختياره لامرأة توفي عنه زوجها، ثم إخلاصه لها، وحبه إياها ذلك الحب العظيم الذي تحدثت عنه كتب التاريخ، لدينها وعبادتها واستقامة أخلاقها لأكبر دليل على شهامته وصدق نظرته وحكمه على الأمور.

كذلك فإن تاريخ أميرات البيت العباسي يدل على حرصهن على المال وجمع الجواهر والحلي حتى إن احداهن **سمحت بمقتل ولدها** بأيدي الجنود المطالبين بالمال، وهي «قبيحة» زوج المتوكل وأم الخليفة المعتز، وأبت أن تقرضهم خمسين ألف دينار، ولديها في خزائنها وصناديقها الملايين، ولذلك فإن سلجوقة خاتون كانت في أمرها عجبا إذ لم تفعل فعلهن، بل كان همها أن يبني الخليفة لها تربة تدفن فيها، ورباطا (تكية) يطعم الفقراء منها، ولقد وضع الخليفة بعد وفاتها في تلك التربة مكتبة حوت كثيرا من الكتب القيمة.

لقد توفيت سلجوقة خاتون قبل أن يتم البناء الذي شرع فيها في حياتها، وأكمل بعد مماتها، رحمها الله تعالى.

ولقد رثاها الشاعر الشهير سبط بن التعاويذي بقصيدة، منها:

فيا قبر ما بين الصراة ودجلة ... إلى نهر عيسى جارك الغيث من قبر
فلله ما استودعت ياقبر من تقى ... ومن كرم عد ومن نائل غمر
ثوى بك من لو جاوز النجم قدره ... لزادت به الأفلاك فخرا إلى فخر
نمر عليه خاشعين كأننا ... نمر على الركن المقبل والحجر
لنا دعوة عنده مستجابة ... فكل الليالي عنده ليلة القدر
عليك سلام الله كل عشية ... يكر على اعقابها مطلع الفجر
رثيناك يا خير النساء تعبدا ... ومثلك لا يرثى بشعر ولا نثر
ومن كانت الشعرى العبور محله ... تعظم قدرا أن يؤبن بالشعر
تحجبت عن مرأى العيون جلالة ... وعزا فمن خدر إلى خدر
وصبرا أمير المؤمنين لرزئها ... وإن جل ذا الرزء العظيم عن الصبر



الكتاب الذي أتحدث عنه ، مثال بارز على ما اقول .

(الفقــه الاسلامي وأدلتـه) هو في الحقيقة موسوعة فقهية ، كالتي تحلم باخراجها المؤسسات والجـامعات ، ويجند لها الباحثون والكتاب ، ضمت اكثـر من سبعـة الآف صفحـة ، وأخرجت في ثماني مجلدات كبيرة .

المؤسسة التي اهتمت باخراج هذه الموسوعة ، تتمثل في شخص واحد .

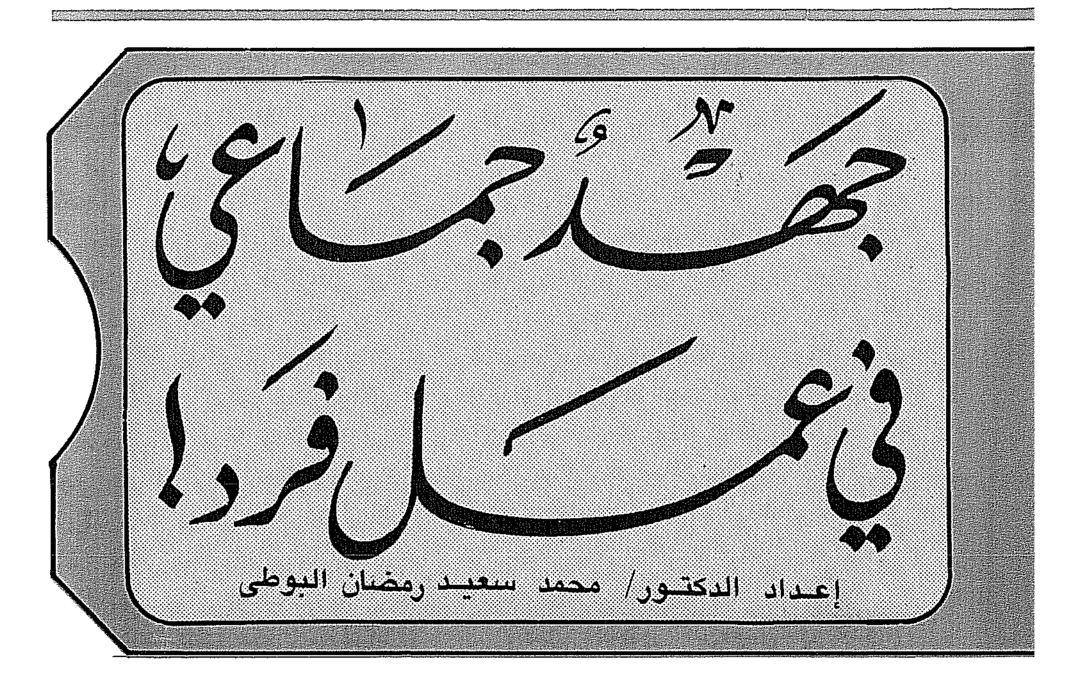
اما الجهود والميزانيات المالية التي رصدت لها ، فليست شيئا اكثر من رغبة ذاتية للمؤلف ، اتجهت بصدق وحمـاسة الى السعي لانجـازهـا ، والصبر على كل صعوبات الطريق وعثراته . اما الزمن الذي استغرقه العمل ، فبضع سنوات .. وهي يقينا اقل عددا من مجلدات الكتاب . (١)

هذه الرغبة الذاتية الدائبة ، التي جاءت بالضرورة من وراء الاختصاص العلمي الدقيق ، هي سر النجاح في العمل ايا كان ومهما بلغ اتساعه او اشتدت صعوبته .

والرغبة الذاتيه هذه ، تأبى الا ان تكون ضرة قاسية للنشاط الوظيفي الذي ينمو في ظل الاجور والمرتبات .. وانها لواحدة من سنن الله ، وقد تجد لها شذوذا ، ولكنه نادر .

* * *

وبعد ، فإن اهمية هذا الكتاب ، او



المعنى الذي يجعل منه موسوعة ، لا يتمثل في تصفيات زائدة او مناقشات مطولة للمسائل والاحكام . وانما تتمثل هذه الاهمية في مزايا أخرى ، كلها من أهم ما تحتاج اليه مكتبتنا الفقهية في هذا العصر . ولعل هذه المزايا تبرز في النقاط التالية :

اولا - ليس الكتاب واحدا من الكتب الفقهية المذهبية التي يتبنى كل واحد منها واحدا من المذاهب الاربعة دون التفات الى المذاهب الاخرى (على ان هذه الكتب المذهبية مفيدة وهامة في نطاقها) وانما هو يحوي الفقه الاسلامي ، كما تم ، فهما واجتهادا ، من مصادره الاصيلة ، والتبعية الثابتة ، سواء فيما هو داخل الكليات والاحكام المتفق عليها ، او في المسائل الجزئية التي وقع الخلاف فيها . انه ليس كتابا في الفقه المذهبي ، وان كان يحترم المذاهب الفقهية كلها .

ثانيا - يعرض المؤلف لأدلة الاحكام ، سواء كانت قرآنها ام سنة ام اجماعا ام قياسا . ويقارن في المسائل الخلافية بين الآراء المذهبية وادلتها ، ملتزما تخريج الاحاديث والتحقيق في صحتها وبيان درجتها . ولا شك ان الكتاب يرقى بهذه المزية الى مستوى الفقه المقارن . ومن المعلوم ان كتب الفقه المقارن التي استوعبت جميع ابواب الفقه قليلة نادرة .

ثالثا - جمع المؤلف بين الطريقتين : القديمة المتبعة ، وتتمثل في عرض جزئيات المسائل والاحكام ، من خلال ابواب الفقه وفصوله المعروفه ، والجديدة المفضلة لدى

بعض الناس ، وتتمثل في ربط جزئيات الاحكام بمحاور كلية شاملة تستوعب المنشورات المؤلفة منها والمتفرعة عنها والمفصلة بها ، وهي التي تسمى اليوم بالنظريات .

ونحب ان نقول في هذه المناسبة ، إن احدى هاتين الطريقتين لا يمكن ان تغني ، في هذا العصر ، عن الاخرى . فالاحكام الجزئية المنثورة ، ينبغي ان تندرج ، في ذهن الفقيه على اقل تقدير ، ضمن كلياتها المنبثقة عنها ، وان تتجلى بشكل بنيان متكامل تبرز اركانه وشرائطه ومكملاته مترابطة متساندة . غير ان تصور هذه الهياكل العامة لا معنى ولا رصيد له ، إلا بمعرفة جزئياتها التي تكون جوهرها وتدخل في قوامها ، على ان تكون هذه الجزئيات مرتبطة بأدلتها الاساسية من الكتاب والسنة او القياس الصحيح عليهما او على احدهما .

فالنظرة الفقهية إذن ، مع ثمرة لاحكامها الجزئية المستندة بدورها الى ادلتها الثابتة . وليست الاحكام الجزئية ثمرة للنظرية الشاملة كما هو متصور عند القانونيين .. وللامام الشاطبي كلام هام دقيق في بيان هذه الحقيقة التي تصل ما بين الكليات الفقهية وجزئياتها ، والتي قد يذهل عنها حتى كثير من المتفقهين (١) .

نعود فنقول : ان الدكتور وهبة قطع شوطا كبيرا في الجمع بين هاتين الطريقتين ، على طريق اخراج الفقه الاسلامي كله في نظريات شاملة متكاملة . فقد افرد معظم المجلد الرابع لشرح نظريتين منها شرحا مسهبا متكاملا ، وهما نظرية الحق ، ونظرية العقد ، وكان المؤلف كلا من نظريتي الضرورة والضمان في مؤلفين مستقلين .

رابعا - افرد المؤلف ملحقا في المجلد الرابع ، ضمنه بيان ما اقتبسه القانون المدني من الفقه الاسلامي .

ومن المعلوم ان القانون المدني السوري ينص في المادة الثانية منه على انه اذا لم يوجد نص تشريعي يمكن الاعتماد عليه ، حكم القاضي بمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية . كما ان القانون المصري ينص على نحو ذلك ، الا انه يقدم العرف على احكام الشريعة الاسلامية .

وعمل الدكتور الزحيلي في هذا الملحق يتضمن بيان اهم الاحكام التفصيلية التي استفادها القانون من الفقه الاسلامي ، واهم المبادىء والنظريات المقتبسة منه في احكام الاهلية ومسؤولية عدم التمييز ، ونظرية التعسف في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، وحوالة الدين ، .. الخ .

خامسا - لم يتجاهل المؤلف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الحديثة ، التي طورت كثيرا من ارضية الفقه الاسلامي التي لا بد ان تفرسق فيها وتنشأ عليها . ومن اهم الاوضاع المالية والمشكلات الاقتصادية الحديثة ، التي سببت بدورها عقدا ومشكلات كثيرة في نطاق المعاملات والعقود واوضاع الشركات ، واثارت بلبلة في تفهم موقف الشريعة الاسلامية منها .

وليس معنى هذا ان المؤلف انساب ، كشأن بعض الكاتبين والباحثين ، مع التطور والواقع ، وراح يلوي اعناق الاحكام والمبادىء الفقهية كيفما اقتضى الواقع وانى سار أو انحرف .. وإنما الزم نفسه بالمنهج العلمي الذي عبر عنه هو في مقدمة كتابه :

« يمتاز هذا الكتاب الشامل لفقه المذاهب ، باعتماده على استنباط احكامه من مختلف مصادر التشريع الاسلامي النقلية والعقلية . فمن قصر فقه الاسلام على القرآن وحده فقد مسخ الاسلام من جذوره وكان أقرب الى أعداء الدين ، ومن حصر الفقه بالسنة وحدها فقد قصر واساء ، وعاش قاصر الطرف عن شؤون الحياة ، وبعد عن التفاعل والتجارب مع متطلبات الناس وتحقيق مصالحهم .. ومن المعروف ان زعماء مدرسة الحديث اخذوا بالمصالح المرسلة والعرف والعادة وسد الذرائع وغيرها من ادلة الاجتهاد بالرأي ، كما ان زعماء مدرسة الرأي كالنخعي وربيعة الرأي وابي حنيفة واصحابه لم يهملوا بتاتا سنة او اثرا او اجتهادا عن السلف »

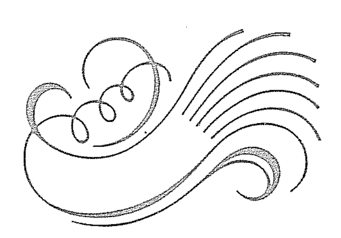
سادسا - وضع المؤلف في نهاية كتابه فهرسا شاملا للالفاظ الفقهية ، واحال كلا منها الى اهم الاماكن التي ورد فيها . ويقع هذا الفهرس في ٣٠٠ صفحة بالخط الدقيق . وهو بحد ذاته عمل مستقل كبير ، يضاعف من قيمة الكتاب ، وييسر سبل الاستفادة منه لكل الفئات والطبقات .

هذه المزايا التي عددتها تجعل لهذا الكتاب قيمة ممتازة عن سائر الكتب الفقهية الاخرى ، وتجعله يملأ زاوية قد تكون الى الآن فارغة في المكتبة الاسلامية المعاصرة .

وان ممن يرى ان الفقه الاسلامي لا يغرس في فراغ ، وان التربة الوحيدة التي تصلح ان تغرس فيها بحوث الفقه الاسلامي ، دراسة وتجلية وتمحيصا ، انما هي المجتمع الاسلامي النابض بسر الحياة الاسلامية ، عقيدة وعبودية وتبتلا . ففي هذا الغرس تزدهر اصوله وفروعه ، ويتحقق الهدف المنشود من دراسته وفهمه والتاليف فيه .

غير اني ارى في الوقت ذاته ، ان من الخير أن يقبل المسلمون الغيارى على اسلامهم الى كل من هذين البناءين يرفعونه ويشيدونه في وقت واحد . ذلك لان واقع التدرج الذي يفرض نفسه في اقتطاف ثمارها ، لا يفرض نفسه في مرحلة القيام ، بالعمل البنائي لكل منهما .

واخشى ما نخشاه ، اذا الزمنا انفسنا بارجاء القيام بالعمل المهم ، ريثما نفرغ من القيام بالعمل الاهم ، ان يذهب الوقت كله سدى ، دون ان نشتغل لا بالمهم ولا الاهم .



مائدة القارىء

المسجد الحرام

قال تعالى : « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » الآية ٢٥ من سورة الحج .

الجواسيس

قال المأمون لأحد جلسائه : هل في القرآن ذكر للجواسيس ؟

قال : نعم . ألم تسمع قوله

تعالى : « **يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم** » هؤلاء هم الجواسيس ، يسمعون ثم ينقلون الأحاديث لمن كلفهم بذلك .

الله أحق بالوفاء

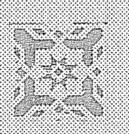
عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ..

فقالت : « إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفاحج عنها ؟»

قال : « نعم حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء » أخرجه البخاري .

الحكمة

قال علي - رضي الله عنه : فرض الله الايمان تطهرا من الشرك ، والصلاة تنزيها من الكبر ، والزكاة تسببيا للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزا للاسلام ، والامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء .



الأم

قال الأصمعي : سمعت اعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي ، فقلت له : مالك لا تذكر اباك ؟ فقال : ابي رجل يحتال لنفسه ، واما امي فبائسة ضعيفة !.

دخل رجل على ابن حنبل رضي الله عنه فقال : عظني ..
فقال له : إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقا فالراحة لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقا فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟

النجدة

ارادت اذاعة روسية ان تطلع الفلاحين على اجهزة الاذاعة ، وان يشترك كل منهم في ارسال الحديث الى العالم بكلمة واحدة لا يزيد عليها ، فلما تقدم الفلاح الاول وسئل ان ينادي بالكلمة الوحيدة صاح بملء فيه : النجدة .

تقوى الله

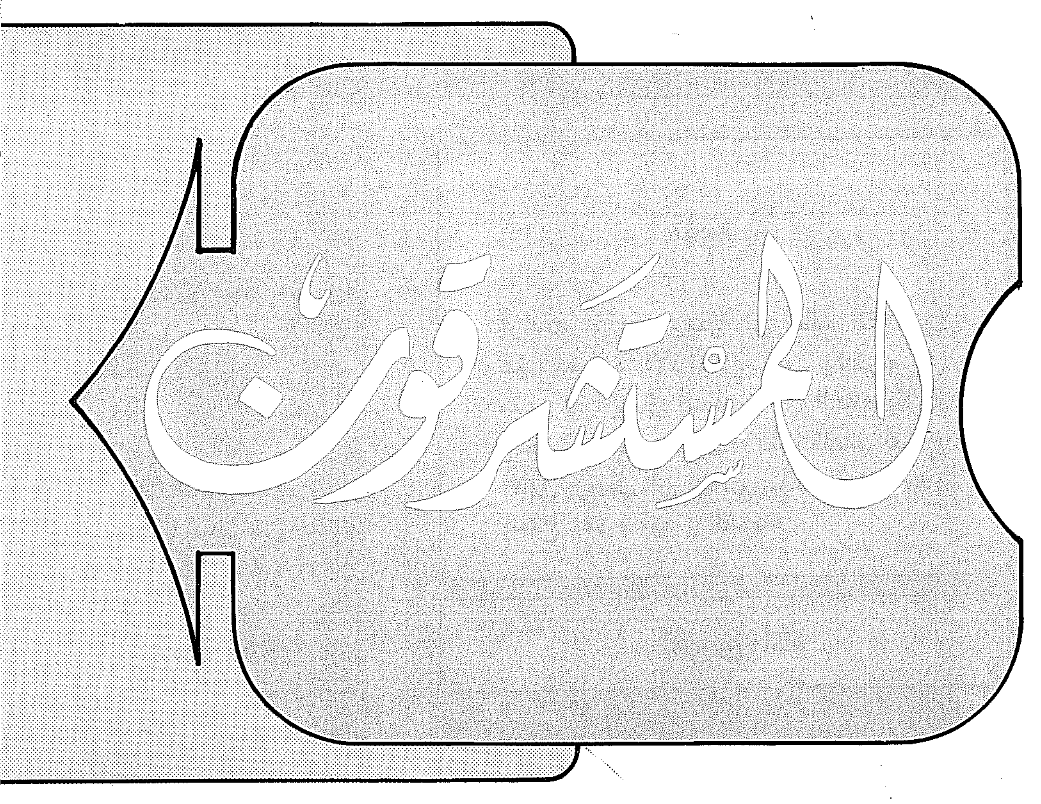
اوصى صديق صديقه قائلا : اوصيك بتقوى الله تعالى ، فإن الله تعالى جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب :

قال تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » .

دعاء المضطر

انشد زين العابدين علي بن الحسين وهو متعلق بأستار الكعبة :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم .. يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا .. وأنت يا حيّ يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا .. فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه .. فمن يجود على العاصين بالكرم ؟



نقرأ في كتب التاريخ ، أو هكذا تعلمنا ، أن الاستعمار الأوروبي بدأ يتغلغل في البلاد الاسلامية اعتبارا من الثلث الأول من القرن الماضي ، مبتدئا بالجزائر ، ثم انتشر في غيرها من البلدان .

ولكن الحقيقة هي أن الاستعمار الأوروبي المعلن ، والمسلح ، الغاصب ، هو الذي بدأ على ذلك النحو ، وفي تلك الحقبة . غير أن ذلك لم يكن الا إعلانا وثمرة لما قام به الرحالة ، والمستكشفون ، والمستشرقون الأوروبيون ابتداء من الحروب الصليبية ، وإلى أن جاء الاستعمار ، بل إلى يومنا الحاضر بشكل أو بآخر ! فقد سبقوا الاستعمار بتمهيد متقن ، وتخطيط قائم على الدراسات التاريخية والنفسية للشعوب الاسلامية ، الأمر الذي مَكّن الأوروبيين من الظفر بما كانوا يطمعون به ، وهو بسط نفوذهم على المنطقة ، وإضعاف المسلمين ، ومحاربة الاسلام ، والتقليل من شأنه عند أهله .

وفي هذه المقالة سنعرض جانبا من حياة أحد المستشرقين الذين يحلو لبعض جهلتنا أن يسميهم «مبشرين » ، وهي التسمية التي يحبونها .. وهو ـ المدعو رايمندس



للدكتور/ يحيى عبد الرؤوف جبر

لولوس ـ الذي مات عام ١٣١٦م في التاسع والعشرين من حزيران ، يونيو ، متأثرا بجراحه على يد مسلمي تونس ، حين أقام فيها قداسا علنيا ، فهاجموه ضربا .. فكانت هذه هي المرة الثانية التي يتحدى فيها مشاعر المسلمين هناك ، حيث كان يدعوهم للتنصر .

ليس بالسلاح وحده

وقد ولد هذا المستشرق عام ١٢٣٥م في أسبانيا ، واشتغل منذ صغره في البحث عن وسيلة تمكن من انتصار الكاثوليكية على الاسلام « **الشعوذة والكفر في مفهومه** » ولم يكن يرى رأي غيره من دعاة الحرب من أمثاله ، ولكنه كان يرى أن السلاح وحده ليس كفيلا بتحقيق أهدافه ، وذلك بالرغم من أنه عاش حقبة انتصار المسيحيين على العرب المسلمين في اسبانيا ، ولذلك فقد صمم على البحث عن طريقة عملية تكفل نشر ما أسماه « حقائق المسيحية المباركة » في العالم الاسلامي .

اختراق النفسية

ويمكن إجمال خطته في هذا المجال بتعريف المسلمين بهذه الحقائق ،

وبلغتهم الأصلية ، أي العربية ، وعندها يصعب على « المشعوذ والكافر » يقصد المسلم ، ألا يقتنع بها إلا اذا ركب رأسه ، وعاند ، وأصر «بدافع شيطاني » . وكان «لولوس » يرى في الاسلام أخطر عدو على الكنيسة في زمانه ، ولذلك لا بد من تقويضه ، ولتحقيق ذلك لا بد من اختراق النفسية الاسلامية بوساطة دعاة الكنيسة ، ولا بد حينئذ من توفر عاملين في الداعية وهما :
أولا : أن يجيد الداعية الكاثوليكي اللغة بطلاقة ، لأنها لغة القرآن !
ثانيا : أن يتحلى بالصبر خلال الحوار مع المسلمين ، والجدل مع فقهائهم .

تعلم العربية

وفعلا شرع «لولوس » في تحقيق الشروط الأولى ، فتعلم اللغة العربية على يد عربي من موريتانيا مدة تسع سنوات متواصلة ، ثم أقنع الكاردينال يعقوب الأول بأن يقيم مركزا لتثقيف المبشرين بالعلوم اللاهوتية ، وتعليمهم اللغة العربية ، وفعلا فقد أقيم مركز كان الأول من نوعه لتعليم العربية في « ميرامار » عام ١٢٧٢م ، وضم ثلاثة عشر راهبا فرانسيسكانيا ، بالاضافة إلى « لولوس » نفسه ، وأقيم لهؤلاء الرهبان دورات مكثفة في اللغة العربية ، إلى جانب دراسة علم اللاهوت . وارتاح بال لولوس لهذا الانجاز الذي لم يكن في نظره إلا خطوة على طريق طويل يهدف إلى تحقيق أحلامه « التبشيرية » والاستعمارية .

واستمر في مساعيه لإقامة أكبر عدد من المراكز المماثلة في مناطق أخرى من العالم المسيحي الأوروبي ، وسافر لهذا الغرض « عام ١٢٧٧ أو ١٢٧٨م » إلى روما ليقنع البابا «نيقولا الثالث » بضرورة تبني أفكاره وتنفيذها ، ولكن نيقولا لم يتحمس لها ، فمال إلى التأليف حين كتب سنة ١٢٨٣م - ١٢٨٥م مؤلفا في أسلوب روائي تخيل فيه أنه تبوأ الكرسي الرسولي وأوفد مبشرين إلى سائر أنحاء العالم يجيدون العربية ولغات شرقية أخرى .

محاولة للتحالف

عندما اجتاح التتار بلاد الاسلام ، ظن « لولوس » أنهم سيكونون حلفاء للمسيحية ضد الاسلام ، وفعلا ، بادىء الأمر ، فقد حال « آبقا بن هولاكو » وابنه من بعده استمالة ملوك أوروبا للتحالف معهم ضد الاسلام . وقد عمل اليهود آنذاك على تحقيق هذا التحالف بين الطرفين .. غير أن التتر ما لبثوا أن دخلوا في دين الله أفواجا ، فأسقط في أيدي الحاقدين على الاسلام والمسلمين .

محاورة

ثم رأى رايمندس لولوس أن يتوجه الى خارج أوروبا للتبشير بالمسيحية بين صفوف « الكفار » يعني

المسلمين ، فسافر من «جنوه » الى تونس التي اختارها مكانا للحوار مع المسلمين ! وكانت آنذاك تشكل ملجأ للنازحين من عرب الأندلس المسلمين ، وفعلا تم الحوار بينه وبين فقهاء المسلمين ، ولكنه لم يتمكن من التفوق عليهم بالحجج .

مواصلة الجهود

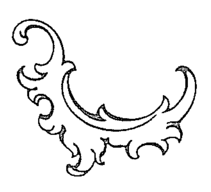
وفي عام ١٢٩٤م نشر مقالا ضمنه تأكيده على رأيه بضرورة تثقيف المبشرين واستخدامهم أسلوبه الخاص في إقناع « الكفار » لقبول « حقائق الكاثوليكية » ، وأكد ، أيضا ، على ضرورة استخدام القوة العسكرية لاحتلال بلاد « الكفار » واستعمارها .

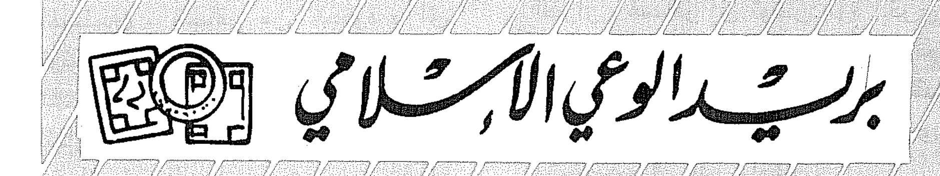
وفي عام ١٣٠١م زار قبرص وآسيا الصغرى ـ ولم تكن بعد قد فتحت من قبل المسلمين ـ وفي عام ١٣٠٧ جرب حظه مرة أخرى في الحوار مع المسلمين في مدينة بجاية الجزائرية ، ولكنه عاد بخفي حنين .

ثمار متأخرة

لكن جهود لولوس المتواصلة قد أثمرت بعض الشيء بعد حين ، وذلك حين أقر المجمع المسكوني في فيينا عام ١٣١١م تعيين مدرسين كاثوليكيين اثنين في كل من جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسالونيك لتدريس اللغات الاغريقية والعبرية والعربية والكلدانية . وقد فرح لولوس بهذا القرار ، فسافر إلى تونس مرة أخرى بالرغم من تقدمه في السن .. ولكنه لم يدر أنه كان يسعى لحتفه بظلفه ، فقد قتله المسلمون هناك ، لأنه تحدى مشاعرهم في عقر دارهم .

وهكذا ، من خلال حياة واحد من هؤلاء المستشرقين نتبين أنهم لم يتعلموا العربية ، ولم يدرسوا تراثها ، وكذلك لم يتكبدوا عناء السفر ومشقة التجوال في بلدان العالم الاسلامي حبا في العربية ، ولا حبا في سواد عيون المسلمين ، ولكنها مأربة لا حفاوة ، وكيد حقير أخفوه من وراء أعمالهم التي يبدو الخير في ظاهرها ، بينما هي في الحقيقة فياضة بالشرور والآثام ، الأمر الذي لمسه أباؤنا ، وما نزال نلمسه بنسب متفاوتة ، فبعضنا قد تخدّر جسمه ، وتلبد حسّه ، وبعضنا لم يعد يبالي ، مشغول بالدنيا ، كأنه سيعيش فيها أبدا ، وقليل منا يدركون أبعاد الخطر الداهم الذي تغلغل في العقل والنفس بحيث يكاد التغلب عليه يكون ضربا من أحلام اليقظة ، إلا أن تفيق أمتنا على هذه الحقيقة المؤلمة ، وتستيقظ من سباتها ، ألا وقد تلع الضحى ، بل إن الشمس تكاد تغيب ، ولكن الغافلين عن ذلك في نوم عميق ، وقد لا يفيدهم أن يستيقظوا .





ما هكذا يكون النقاش

الأخ / عمر الحنشي ـ من صفاقس ـ تونس .. أرسل إلى بريد الوعي الاسلامي رسالة مطولة جاء فيها : أنه بعد اطلاعه على « رسالة الصيام » استوقفه ما أثبتناه تحت عنوان مبطلات الصوم .. وأنها قسمان : قسم يبطل الصوم ويوجب القضاء فقط .. وقسم يبطله ويوجب القضاء والكفارة ..

وقلنا : إن الأكل والشرب عمدا يوجب القضاء فقط ..

ثم قلنا : إن ما يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة هو الجماع لا غير ..

● ثم مضى الأخ عمر يقول : إن نتيجة هذه الفتوى أنه يمكن للصائم أن يفطر رمضان صيفا ، ثم يقضيه شتاء وعندما يقصر النهار .

وقال : وهذا خلاف خطير للشريعة الاسلامية ، ولا أظن أن أي مذهب يبيح هذا المنطق الغريب .

وواصل حديثه فقال : إن الافطار عمدا بوصول الأكل إلى البطن أو بالجماع يوجب القضاء والكفارة لكل يوم على حدة . ويقول الحنشي : هذا هو منطق العقل ، والطريق القويم .

ثم عاب على المجلة أنها لم تذكر سندا شرعيا لما نشرته . وأن مرضى النفوس سوف يستغلون الفتوى ، ويشككون في رسالة الاسلام ، هكذا قال .

ثم قال كلاما نستحي من نشره .. فيه سباب ، وشتم ، وتكفير ، واتهام لنا بالخروج عن الدين .

ونقول للأخ القارىء : إننا أثبتنا في صدر رسالة الصيام الآيات الكريمة ، والأحاديث الصحيحة التي توجب على كل من بلغ سن التكليف من المسلمين ، ولم يمنعه عذر شرعي من الصيام ـ أن يصوم شهر رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم .. وأنه لو أفطر يوما من رمضان لا يعدله صوم الدهر كله وإن صامه .. كما قال رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ..

فنحن إذن لم ندع إلى الفطر في رمضان لغير عذر شرعي .. بل رهبنا من الفطر فيه ، ولكن ما حكم من أفطر

عمدا في رمضان بالأكل والشرب ؟

هذا هو محور النقاش :

بالرجوع إلى كتاب « فقه السنة » للشيخ سيد سابق - الجزء الأول - صفحة ٣٩٣ - نجده يقول : أما ما يبطله ويوجب القضاء فقط فهو ما

يأتي : ١ و ٢ - : الأكل والشرب عمدا . ثم مضى يعدد بقية ما يوجب القضاء فقط .

● وبرجوعنا إلى كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » تأليف عبد الرحمن الجزيري - الجزء الأول - صفحة ٥٦٠ - طالعنا :

* **الحنفية** - قالوا : يوجب القضاء والكفارة أمران : **الأول** : أن يتناول غذاء ، أو ما في معناه بدون عذر شرعي ، كالأكل والشرب ونحوهما ، ويميل إليه الطبع وتنقضي به شهوة البطن . **الثاني** : أن يقضي شهوة الفرج كاملة .
ثم قالوا : وإنما تجب الكفارة في هذين القسمين بشروط . عدوها .

* **الشافعية** - قالوا : ما يوجب القضاء والكفارة ينحصر في شيء واحد وهو الجماع .. بشروط .. عدها المؤلف .

* **الحنابلة** - قالوا : يوجب القضاء والكفارة شيئان : **أحدهما** : الوطء في نهار رمضان ودليلهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر المجامع في نهار رمضان بالقضاء والكفارة **ثانيهما** : إذا باشرت امرأة أخرى وأنزلت إحداهما وجبت عليها الكفارة .

* **المالكية** - قالوا : إن وصول أي شيء إلى المعدة ، سواء كان مائعا أو غيره ، عمدا بدون عذر سواء وصل من الأعلى أو من الأسفل ، لكن ما وصل من الأسفل لا يفسد الصوم إلا إذا وصل من منفذ - يوجب القضاء والكفارة بشروط ذكروها .

ومن هذا يبين لنا أن الحنفية والمالكية قالوا بوجوب القضاء والكفارة على من أفطر بالأكل أو الشرب عمدا في نهار رمضان ، وأن الشافعية والحنابلة قالوا بوجوب القضاء عليه فقط .

ولذا نقول للأخ الحنشي : إننا لم نقل في الدين برأينا ، ولم نأت بفرية بل استندنا فيما ذكرنا على آراء علماء أجلاء ، واخترنا الرأي الذي يقول يوجب القضاء فقط على من أفطر عمدا ، لأن القضاء متفق عليه بين المذاهب جميعها ، وتركنا المختلف فيه وهو الكفارة .

أما استغلال مرضى النفوس ممن لا ترهبهم الأحاديث التي تنفر من الفطر في رمضان بغير عذر ، وتتوعد مرتكب ذلك ، ولا تنير قلوبهم الأحاديث التي تفتح أبواب الجنان أمامهم .. فلا حول لنا ولا قوة بشأنهم والله هو الذي يتولى عقابهم .. كمن يترك الصلاة

تساهلا وكسلا ، أو يتكاسل عن أداء فريضة الحج ، أو امتنع عن إخراج الزكاة ، كل هؤلاء مطالبون بأداء ما افتـرضـه الله عليهم ، وإلا فهم محاسبون أشد الحساب يوم القيامة .

ثم إن الصوم سر بين العبد وخالقه فيمكن لمـريض النفس أن يفطـر رمضان - دون أن يراه أحـد من النـاس - ويبـدو أمـامهم بمظهـر الصائم ، ولا يقضي ما أفطره . فلا شأن لنا إذن بمرضى النفوس ولا بـاستغلالهم السيىء لحكم الله .. وحسابهم على الله .

● ولعلك بعد هذا يا أخ عمر - قد عرفت أننا لم نقل إسرائيليات ، ولم نخرج على شرع الله ، ولم نيسر أمام مرضى النفوس طريق الخروج على ما شرع الله ، ومعاذ الله أن يشجع على الفطر في رمضان بغير عذر شرعي .

● أما منطق العقل ، والطريق القويم الذي ذكرت ، وأنك لا تظن أن هناك مذهبا قال بما قلناه ، فمنطق العقل لا يفيد شيئا في هذا ، بل هي أحكام الله ، وأما أنك لا تظن ، فيجب عليك أن تعتقد الآن أن هناك من قال بما قلناه ، وكونك تجهل ذلك لا يعني أنه غير موجود .

● وأما ما قلته من سباب ، واتهام بـالكفر ، وأننـا أناس مبتـدعون ، وألهتنا الحياة ، فسامحك الله يـا أخي ، فليس هذا أدب الحديث ، وما هكذا يكون النقاش .



الفتاوى

(عمل المرأة خارج البيت)

● ناظرة مدرسة ثانوية في دبي لم تذكر اسمها . تقول ما حكم الاسلام في عمل المرأة خارج البيت علما أني في حاجة إلى مرتبي أنفقه على نفسي وأولادي الصغار توفي أبوهم ولم يترك شيئا يذكر ؟

مما لا شك فيه ان الاسلام أجاز للمرأة أن تتولى البيع والشراء وكثيرا من أنواع التعامل واعتبرها كاملة الأهلية في تصرفاتها المشروعة لكنه رغب إليها ألا تباشر العمل خارج بيتها إلا عند الضرورة كما إذا لم تجد من يعولها وينفق عليها من زوج أو أب أو أقارب وليس لها مورد رزق تستغني به عن العمل في هذه الحالة يجوز لها أن تعمل من أجل العيش والاستغناء عن سؤال الناس وأعطاها الاسلام حق العمل إذا احتاجت إليه . فلم يمنعها نهائيا كما كان سائدا في الأمم السابقة ولم يحرضها على هجر البيت كما هو الشأن في الحضارة الحديثة . ومن المقرر انه من الخير لها وللمجتمع أن تتفرغ لأداء رسالتها التي تنسجم مع طبيعتها وفطرتها ومكان ذلك هو البيت . أما اذا فرضت الظروف عليها ان تعمل فلها ذلك في حدود الالتزام بالآداب الاسلامية التي تصون كرامتها من الابتذال وأنوثتها من الاستغلال .

الاسلام يعطي المرأة حق العمل فيما تنجح فيه أكثر مما ينجح الرجل كالوظائف التي تباشرها المرأة وتكون أقرب إلى طبيعتها كالمستشفيات ومدارس الأطفال والعمل في مدارس وكليات البنات ومختلف نواحي النشاط النسائي الاجتماعي والثقافي إلى غير ذلك من مجالات تبرز فيها مواهب المرأة وذلك في حدود ما تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة بحيث لا يترتب على ذلك تعطيل عمل البيت أو ضياع الأولاد أو التعرض لفتنة كما يشترط أن تخرج المرأة الى عملها بلباس الحشمة والوقار لا تبدي شيئا من زينتها ولا يخلو بها أحد من غير محارمها ولا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وان تبتعد عن كل وسيلة فيها إثارة أو تدعو إلى فتنة أو إغراء أو تثير شبهة والقارئة الفاضلة في ضوء ما ذكرت في سؤالها لا حرج عليها في عملها كناظرة مدرسة

لها أن تواصل أداء هذه الرسالة الثقافية ما دامت في حاجة وما دامت تلتزم بالآداب الاسلامية والضوابط المذكورة وان أغناها الله عن العمل فتربية الأولاد أغلى من المال وأعز من الوظيفة والعمل .

[حكم تفضيل بعض الأولاد]

● عبد الوهاب الحصين من جدة يقول لي أولاد كبار يزاول كل منهم عملا مناسبا ولي أولاد صغار من الزوجة الأخيرة وأنا رجل كبير السن فهل يجوز أن أكتب للصغار أملاكي لتنفعهم بعد وفاتي أم لا يجوز ذلك ؟

ـ بينت آية المواريث أنصبة المستحقين للتركة وأمام هذا التشريع لا ينبغي لك يا أخي ولا لغيرك من الآباء أن تتعجلوا توزيع أموالكم وأنتم أحياء لا ينبغي حرمان المستحق فتخصيص بعض الأولاد وتفضيلهم على بعض يولد الحقد بين الاخوة ويثير العداوة مدى الحياة . لا تخف على الصغار فهم في رعاية الله الذي ضمن الأرزاق لكل دابة في الأرض ولا تقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولأن تترك أولادك إخوة متحابين خير من أن تتركهم متحاربين . رأينا وسمعنا وقرأنا كثيرا من المآسي بسبب تفضيل بعض الأولاد على بعض . قتل الأخ أخاه وخرجت البنت على أبيها وأعلنت الحرب على أخيها وتعرضت الأسرة كلها للتمزق والضياع بسبب هذا التفضيل . حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمرة بنت رواحة ألحت على زوجها بشير أن يخصص النعمان ولدها منه بعطية وطلبت أن يشهد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله النبي الكريم . ألك ولد غيره ؟ قال نعم قال أعطيت سائر ولدك مثل ما أعطيته ـ قال لا،فرده وقال لا أشهد على جور وأمر بالعدل بين الأولاد ورجع بشير في عطيته خوفا من الله وامتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

يجوز أن يخصص الانسان بعض أولاده لحاجة كأن يكون طالب علم أو يكون عاجزا عن الكسب مثلا والصغار له أن يوفر لهم المال الذي يمكنهم من مواصلة الدراسة ويؤمن لهم النفقة من غير أن يعطيهم أملاكه ويحرم غيرهم للمعنى الذي ذكرناه من قبل .

[الزوج الشاكي]

● قارىء من المغرب طلب ألا نذكر اسمه يشكو من زوجته أنها لا تطيعه

وتخرج بدون إذنه وتتطاول عليه مع أنه قائم بكل ما يجب عليه ويقول لولا الأولاد لطلقتها ماذا أفعل ؟ علما أنها تحرص على قراءة فتاوي المجلة .

ـ الاسلام الذي طالب الزوج برعاية حق الزوجة طلب في الوقت نفسه من الزوجة أن تطيع زوجها ما دامت الطاعة في غير معصية . تحافظ على كرامته ولا تخرج من بيته إلا بإذنه جاء في الحديث الشريف ـ ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارعان . يعني متخاصمان ـ

وعائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ قال زوجها قالت فأي الناس أعظم حقا على الرجل قال أمه .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ، لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ! ولقد وصف القرآن الكريم الزوجات الصالحات يقول الله تعالى (فالصالحات قانتات) ـ يعني طائعات ـ ثم يقول حافظات للغيب ، يعني يحفظن غيبة الزوج فلا تخونه الزوجة في نفسها ولا في بيته وماله .

جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنيابة عن النساء تقول : المجاهدون من الرجال لهم أجر فما نصيبنا من الأجر ونحن نعينهم على الجهاد ؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم (أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك ـ يعني أجر الجهاد ـ وقليل منكنَّ من يفعله) لا يجوز أبدا للزوجة أن تستهين بحق الزوج ولا ينبغي أن تتمرد عليه ولا يجوز أن تخرج من غير اذنه .

إذا كان الاسلام منع الزوجة أن تصوم تطوعا إلا بإذنه ومنعها من حج التطوع الا باذنه فكيف تخرج الزوجة الى الزيارات أو إلى الأسواق دون اذن الزوج ورضاه ؟ انها معصية لله ولا شك ، ومعصية للزوج صاحب الحق أما التفكير في الطلاق فلا ينبغي اللجوء إليه لأن الطلاق يعرض الأولاد للضياع وعلى الزوج أن يختار حكما من أهله وحكما من أهلها لتقريب وجهة النظر وتبصير المرأة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات وذلك بعد أن يبذل من جانبه ما يستطيع من وعظ ثم هجر ثم تأديب من غير يأس من إصلاحها وعليه ان يصبر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

[النذر المحرم]

● س . س . م من محافظة الجهراء بالكويت تقول نذرت إن نجح ولدي الوحيد أن أشتري له خاتم ذهب وسلسلة ذهب وأن أذبح خروفا

للفقراء والمساكين وسمعت أن هذا النذر لا يجوز ماذا أفعل ؟ وهل يجوز لنا الأكل من خروف النذر أم لا ؟

ـ لا ينبغي أن تتقربي إلى الله تعالى بما حرمه الاسلام ومن المقرر أن الذهب حرام على الرجال فلا تدفعك عاطفة الحب لولدك وان كان وحيدا إلى ترغيبه في الترف والمباهاة بالحلي والزينة المحرمة . تحريم الذهب على الذكور فيه هدف تربوي أخلاقي نبيل يبتعد بشبابنا عن مظاهر التكسر وعن زينة النساء فالاسلام يدعو إلى الرجولة والبطولة والاعداد للجهاد وخوض معارك الحياة في قوة وصلابة ومن جهة أخرى إباحة الذهب يؤدي إلى كسر قلوب الفقراء ، التحلي بالذهب مباح فقط للنساء فعن علي كرم الله وجهه قال (أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال (إن هذين حرام على ذكور أمتي) وفي رواية : حل لاناثهم .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذ خاتمك انتفع به ، قال لا والله ، لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والتحريم يشمل السلسلة التي يلبسها بعض الشباب والساعة من الذهب والقلم من الذهب وكل ما هو مصنوع من الذهب . ان كان لا بد من خاتم فليكن من الفضة فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق . أي فضة ، وكان في يده . رواه البخاري .

ويراعى في خاتم الفضة أن يكون على الهيئة المعروفة في لبس الرجال أما إذا صنع على هيئة خواتم النساء فانه يكره تحريما ، نذر الخاتم الذهب والسلسلة لا يجب الوفاء به لأنه في معصية ، وفي الحديث الصحيح ، لانذر في معصية الله تعالى ، اما نذر الخروف فانه في طاعة ويجب الوفاء به وينصرف للفقراء والمساكين ولا يجوز لكم الأكل منه إلا إذا كنتم فقراء .

اعيني ولدك على التمسك بآداب الاسلام فالأمة في حاجة الى الشباب القوي في أخلاقه وعقيدته وسلوكه .

[الاسلام والنظافة]

● ربة بيت من إيران تقول زوجي لا يهتم بالنظافة ومظهره غير لائق وكلما حاولت إقناعه بالنظافة يقول الزينة مطلوبة من الزوجة لزوجها وليست مطلوبة من الزوج لزوجته فهل هذا صحيح ؟

ـ هذه مغالطة من الزوج لأن الاسلام يعنى بحسن الهيئة وجعل النظافة والمظهر الجميل قدرا مشتركا بين الرجال والنساء . النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى نظافة الثياب ونظافة الأبدان ونظافة البيوت واهتم بنظافة الأسنان والايدي والرأس والاسلام وهو دين النظافة جعل الطهارة مفتاحا للصلاة وجعل من شروط صحة الصلاة طهارة الثوب والبدن والمكان .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تنظفوا فان الاسلام نظيف) وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال عليه الصلاة السلام (أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثار الرأس كأنه شيطان) كما جاءه مرة رجل عليه ثوب دون فقال له ألك مال ؟ قال نعم قال من أي المال ؟ قال من كل المال قد اعطاني الله تعالى قال (فاذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته) فإذا كانت الزوجة مطالبة أن تتزين لزوجها فالزوج كذلك مطالب أن يتزين لزوجته قال تعالى (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**) .

المرأة تحب أن ترى من الرجل ما يشرح صدرها ويقربها منه . إن تزين الرجل لزوجته يعفها ولا ينفرها غاية الأمر ان زينة الزوج الشاب يختلف عن زينة الزوج الشيخ كبير السن بمعنى أن تكون الزينة مباحة وفي حدود المظهر المناسب لكل منهما وذلك حسب العادة والعرف وهناك أشياء يشترك فيها الشباب والشيوخ كالطبيب والسواك والتطهر وتقليم الأظافر وسنن الفطرة وغير ذلك من وسائل النظافة والجمال .

ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول : إني لأتزين لامرأتي كما تتزين هي لي .

ردود قصيرة

● القارىء محمد عبد القادر المسكي شارع مراكش رقم ٢٢ ـ المغرب

ـ التفكير أثناء الصلاة لا يؤثر في صحة الصلاة وعليك أن تتأمل معنى ما تقرأ وأن تستحضر انك في مناجاة مع الله وأما المغنية التي تصلي ولا تمتنع عن الغناء المثير لعل صلاتها تكون سببا في هدايتها قال تعالى **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** أما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي فكلاهما كلام لله تعالى إلا أن القرآن يتميز بأنه معجز في لفظه متعبد بتلاوته .

● القارىء ابراهيم رمضان سالم ـ زاوية صقر ـ أبو المطامير ـ بحيرة ج .م .ع

ـ دوران نعش الميت في شبه حلقة أو دائرة أو أن يجري بحامليه لا يعرف له

أصل في كتب السنة ولم يرد إلا في خفة حمل جنازة سعد بن معاذ الانصاري بعد موته شهيدا من جرح في معركة الخندق ، لما حمله الصحابة وجدوا له خفة فقالوا والله إن كان لبادنا (أي كثير اللحم) وما حملنا من جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إن له حملة غيركم والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش) .

● القارىء خالد حسين الزهراني - أم الحمام ثانوية الغافقي - الرياض

- تغيير أماكن المصلين بعد أداء الفرض لم يعرف له أصل ولا ينبغي الاعتقاد بأنه أمر واجب .

المسبل للثوب إن كان لغرور أو كبر وخيلاء أو رياء فهو محرم شرعا وان كانت اطالة الثوب عادة بريئة فلا إثم فيها بشرط ألا تلحقه نجاسات بسبب الاطالة .

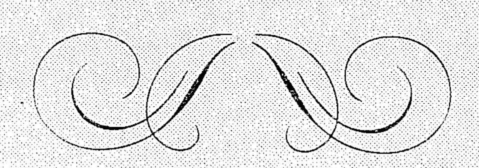
أما حكم الصورة فالأرجح ان الصور الشمسية لا يشملها النهى عن الصور خاصة إذا كانت للتعرف على هوية صاحبها .

● القارىء خالد عاشور - المطرية - القاهرة

- الصلاة من الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم معناها ثناؤه عليه عند الملائكة والصلاة من المؤمنين عليه معناها الدعاء والاستغفار وكذلك الصلاة عليه من الملائكة . قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) . والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي جميعا .

القارئة الآنسة الصافية خليل - شارع رمضان الكاضي/رقم ٣٣٤ ناوريرث المغرب

- مصافحة النساء للأجانب حرام شرعا ولو كانوا أبناء العم لأنهم ليسوا من المحارم وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصافح النساء في بيعتهن .



مع الصحافة

○ عن الأوضاع في لبنان

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها ١٤٤٤ مقالا عن الخطة الأمنية في لبنان وما يعترضها من عقبات جاء فيه :

الحديث عن الخطة الأمنية التي أقرها مجلس الوزراء في نطاق بيروت الكبرى . والتفاؤل السياسي الذي عزز الآمال الحذرة في فتح المعابر والمطار والمرفأ ، لم يوقف القصف العشوائي ولا أوقف الاندفاع نحو الهجرة إلى كل بقاع الأرض الآمنة هربا من « بطاقات الموت » التي توزع مجانا على المدنيين الأبرياء .

فعلى صعيد القصف العشوائي ، تقول إحصاءات ديبلوماسية الاهتمام والمصدر أن نسبة ما يحصونه يوميا من أرواح الأبرياء وصل خلال الأسبوعين الماضيين إلى ما لا يقل عن ١٥ قتيلا و ٣٥ جريحا كمعدل وسطي دائم .

ولوحظ أن القصف اشتعل يومي السبت والأحد بين شطري بيروت في الوقت الذي كان التلفزيون يتحدث بألسنة الوزراء عن أولى تباشير الاستقرار . وتتحدث الصور والكلمات عن أولى بدايات سحب السلاح الثقيل من قبل الميليشيات من بيروت إلى الجبال .

وعلى صعيد آخر ، نشط القصف العشوائي مع تزايد الحديث عن قرب استئناف حركة الملاحة الجوية من مطار بيروت بين يوم وآخر ، ومع تزايد إقبال اللبنانيين على الهجرة مرفقين بالآمال والوعود التي علمتهم التجارب السابقة لا يحملوها على محمل الجد .

وأحدث الاحصاءات التي تحرص سفارات الدول الكبرى في بيروت على أعدادها مرة كل شهر لمعرفة طبيعة التحولات الديمغرافية في المجتمع اللبناني تدل على أن الاجراءات الأمنية التي أقرت لم تنجح بسبب القصف المستمر في الحد من الاقبال على دور السفارات الأجنبية والعربية سعيا وراء إجازات الدخول ولو للسياحة إلى أراضي هذه الدول .

والواقع أن هناك أسبابا كثيرة تبرر حالة الشك بالخطة الأمنية غير فشل التجارب المماثلة السابقة .

من هذه الأسباب إحساس الناس بأن اسرائيل التي تملك نسبة مؤثرة من الأوراق الضاغطة في لبنان لم تقرر بعد التخلي عن هذا التأثير . وهذا أمر بديهي ، بل هي على العكس من ذلك قررت أن تمارس دورها كاملا للانتقام من الطوائف ومن لبنان ومن الكيان الذي تريده ممزقا تشفيا من الدولة التي ألغت اتفاق ١٧ أيار ورفضت التفاوض المباشر للاتفاق على موضوع الأمن في الجنوب وقررت إقفال المكتب الاسرائيلي في ضبيه . إضافة إلى رغبة إسرائيل القديمة في ضم الجنوب ومياه أنهاره إلى قانونها وهيمنتها .

وهناك موجات المعلومات والاشاعات التي تعد الناس بجولات محتملة الوقوع ضد الموارنة تارة ، حيث تجدد الحديث عن العرض الأميركي القديم الذي قدمه المبعوث الأميركي دين براون في عام ١٩٧٦ إلى الرئيس سليمان فرنجية لترحيلهم إلى كندا . وضد الشيعة لترحيلهم من بيروت والضاحية الجنوبية والجنوب إلى البقاع تارة أخرى . إلى الحديث من ناحية ثالثة عن مخططات وجولات تطال هذه الطائفة أو تلك المنطقة وتطال بالتالي لبنان .

○ عن رأب الصدع الفلسطيني

نشـرت الهيرالد تريبيون في ١١ شوال الماضي مقالا عن الجهود المبذولة لتوحيد الصف الفلسطيني جاء فيه :

وصلت الجهود الخاصة بإعادة توحيد منظمة التحرير الفلسطينية في أعقاب مرور سنة من العداء بين فئاتها إلى مرحلة حاسمة ، ولكن المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية والدبلوماسيين يقولون أن سوريا هي التي تقرر فيما إذا كانت العناصر المنشقة ستنضم إلى المنظمة أم لا ؟

ونظرا لأهمية سوريا التي تعتبر الدولة الرئيسية التي تدعم المعارضة لرئيس المنظمة عرفات ، ذهب رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير فاروق قدومي وهو من كبار مساعدي عرفات إلى دمشق يوم الأربعاء لمقابلة الرئيس السوري حافظ الأسد . وكان هذا أول اجتماع يعقد بين سوريا والمنظمة على مستوى رفيع منذ بدء حركة الانشقاق في العام الماضي .

وجاءت زيارة قدومي في أعقاب توقيع إتفاقية في عاصمة اليمن الجنوبي في الاسبوع الماضي من جانب منظمة فتح وأربع منظمات فدائية ضمن ما يدعي بالتحالف الديمقراطي وهي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الفلسطيني .

ويذكر أن هذه المجموعات لم ترسل مقاتليها للاشتراك في الحرب ضد السيد ياسر عرفات أثناء الحصار الذي فرض على مؤيديه في ميناء طرابلس في الخريف الماضي .

ومن غير المتوقع أن تنشر نصوص الاتفاقية قبل الاسبوع المقل . ولكن المسؤولين يقولون أنها تدعو إلى تشكيل قيادة جماعية للتخلص من حرية عرفات في المناورة ، كما تدعو إلى عقد اجتماع لزعماء المنظمات الثماني داخل منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر خلال الشهر الجاري .

ولكن مؤيدي عرفات حذرون جدا . أنهم يقولون أنه من غير المؤكد أن تساند عناصر منظمة التحرير الفلسطينية الأعضاء في التحالف الديمقراطي والتي ظلت ضمن إطار المنظمة مع احتفاظها بعلاقات وثيقة مع سوريا ، قيادة السيد عرفات .

وكانت سوريا قد طردت ياسر عرفات من في يونيو من العام الماضي في مستهل حركة الانشقاق التي تمردت على قيادته وأعقبت ذلك معارك عديدة حتى أرغم عرفات في النهاية على الخروج من طرابلس في ديسمبر الماضي .

ومن المتوقع ان يحدد الاجتماع المقترح عقده في الجزائر موعدا لانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الذي يبلغ عدد أعضائه ٣٨٤ عضوا ، علما بأنه انعقد آخر مرة في فبراير ١٩٨٣ .

وظل ياسر عرفات يحاول عقد المجلس منذ خمسة أشهر ، ولكن الخلافات بين فتح والمنظمات الأخرى حالت دون ذلك .

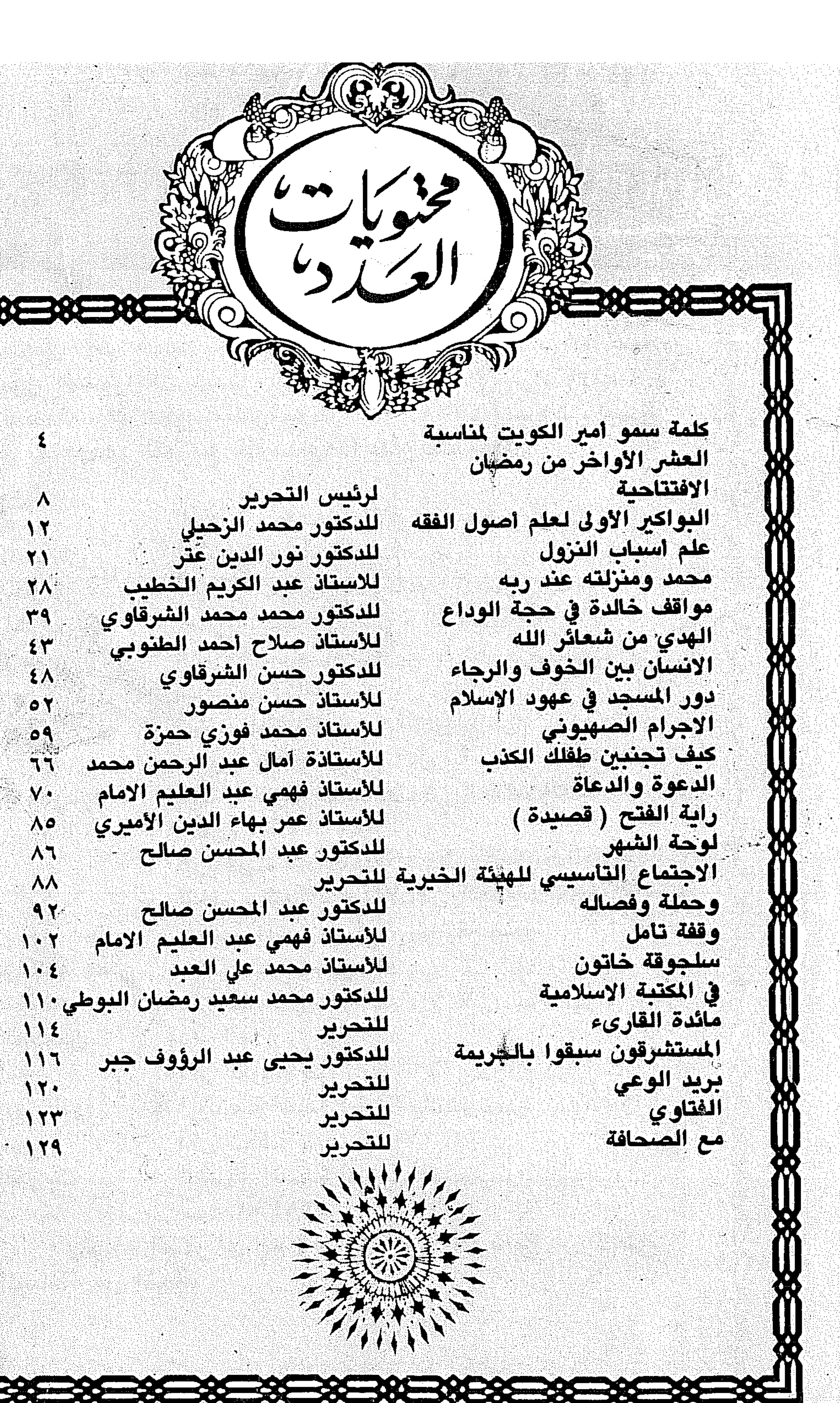
وكان التحالف الثالث الذي يشمل الذين تمردوا على قيادة عرفات ويتمتع بدعم سوريا وحارب مؤيدي عرفات في لبنان ، قد رفض إتفاقيةعدن يوم الخميس ، بحجة أن هذه الاتفاقية ستزيد من الانقسام داخل المنظمة . ولم يكن ذلك مفاجئا لزعماء فتح الذين رفضوا دائما التعامل معهم ، وتعهدوا باستخدام أغلبيتهم في المجلس الفلسطيني « لتصفية الحسابات » معهم ، وهو اصطلاح يعني « الطرد » .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : **جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .**
الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ــ الكويت ــ